# الإسلام

## وموقفه من العنف والتَّطرف والإرهاب

منصور الرفاعي عبيد



أحمد مصطفى
قبل القيامة بلحظات ـ ١٩٧١ ـ زيت على قماش ١٢٩ × ٩٠ سم

كإضافة جديدة لمكتبة الأسرة قدمنا على غلاف كل كتاب لوحة تشكيلية لفنان مصرى معاصر من مختلف المدارس والأجيال وهذه اللوحات لا تعبر بالضرورة عن موضوع الكتاب.

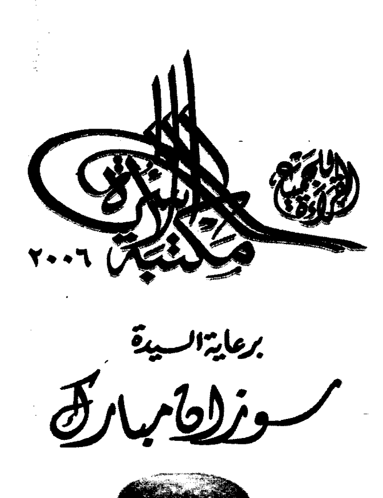
وتتقدم مكتبة الأسرة بالشكر لقطاع الفنون التشكيلية بوزارة الثقافة ومتحف الفن المصرى الحديث على هذا التعاون.


عبيد ، منصور الرفاعى
الإسلام وموقفه من العنف والتطرف والإرهاب / منصور الرفاعى عبيد . ـ القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٦.
١٧٢ ص ؛ ١٤ سم . ـ (فكر)
تدمك ١-٣٩١-٤١٩-٩٧٧.
١- الإسلام والإصلاح الاجتماعى
٢ – الإسلام والمجتمع
٣ – الإسلام – دفع مطاعن أ – العنوان

رقم الإيداع بدار الكتب ١٧٩٨٠ / ٢٠٠٦
I.S.B.N 977-419-391-1
ديوى ٢١٩,١

# الإسلام

ومَوقفه من العنف والتطرف والإرهاب




برعاية السيدة

سوزان مبارك



# توطئة

انطلاقًا من شعار «**مكتبة الأسرة**» هذا العام: **الثقافة لغة السلام**، والذى طرحته السيدة الفاضلة **سوزان مبارك**، انتقت **مكتبة الأسرة** حوالى ٣٠٠ عنوان، حاولت أن تقترب من الأجواء الفكرية والثقافية والإبداعية لمفهوم قيمة ثقافة السلام ودعم التسامح، وتعميق قيمة المواطنة والانتماء والمشاركة والمسئولية المدنية، ودور مؤسسات المجتمع المدنى، وترسيخ قيمة دور المرأة وتعزيز قيمة التجدد الثقافى، والتفكير النقدى، والحوار، والتبادل والتواصل المجتمعى والدولى. وأخيرًا إبراز تواصل الإبداع المصرى عبر أجياله المختلفة وتياراته المتنوعة.

إن **مكتبة الأسرة** من خلال سلاسلها المتنوعة تحاول استيعاب المشهد الثقافى والفكرى والإبداعى فى مصر عامًا بعد عام. وفى هذا العام تطرح أعمالاً جديدة ، وتقدم أسماء لم تنشر من قبل فى

هذا المشروع الرائد، وتقتحم مجالات فكرية وثقافية وأصوات إبداعية جديدة.

وسوف تدور عناوين **مكتبة الأسرة** ٢٠٠٦ فى فلك سلاسل الأدب، والفكر، والعلوم الاجتماعية، والعلوم والتكنولوجيا، والفنون، والمئويات التى تحتفى هذا العام مع العالم كله بمرور ستمائة عام على رحيل المفكر العربى الكبير **عبدالرحمن بن خلدون**، الذى يعد واحدًا من بُناة الحضارة العربية الإسلامية فى أوج عظمتها وازدهارها، ولأن هذه الحضارة كانت الأساس الذى قامت عليه الحضارة الأوروبية الحديثة، **فابن خلدون** يعتبر نموذجًا واضحًا لأهمية حوار الحضارات وطريقة تواصلها.

سيظل هدف **مكتبة الأسرة** فتح نوافذ جديدة للقارئ المصرى للاطلاع على منابع الثقافة العربية والعالمية وتكوين ثقافته ومعرفته بأيسر السبل، والوقوف أمام ما أنتجته عبقرية الأمم ممثلة فى تراثها الأدبى والثقافى والعلمى والذكرى المستتير، حتى يستطيع القارئ مواجهة العنف والأصولية، والفخر بإسهامات أسلافه العرب فى تشكيل مسيرة الحضارة الإنسانية.

**مكتبة الأسرة**

# تقديم

العنف.. التطرف.. الإرهاب.. مصطلحات أصبحت تدهم آذاننًا بصورة لم نعهدها من قبل، وباتت ظواهر مخيفة تشكل خطرًا داهمًا يهدد أمن العالم، وينذر بتدمير الجانب الحضارى فى الكيان البشرى.

وينطلق هذا الكتاب من تحديد معانى تلك الكلمات ويتجاوزها إلى دراسة أسباب حدوثها وتصاعدها فى الآونة الأخيرة، والتى أرجعها المؤلف إلى عدة ظواهر منها: صراع الأجيال فى الأسرة الواحدة، والتفكك الأسرى، والقصور الفكرى الذى ينبع من التناقض فى المصالح والقيم، ثم تنتقل الدراسة بنا إلى أنواع العنف المختلفة، والتى تنقسم إلى: عنف اقتصادى؛ وهو ينشأ نتيجة فرض الدول القوية سيطرتها على الدول الضعيفة، وعنف فكرى؛ وهو يبرز من التصادم فى الآراء والغلو فى التفكير، وعدم الاعتراف

بالآخر ونفيه. وعنف سياسى؛ وهو يهدف إلى الوصول للسلطة ولو على أشلاء الموتى وجثث الأحياء، كما تطرقت الدراسة إلى عرض صور الإرهاب المحلى الذى ينحصر فى الاضطرابات الداخلية أو الحروب الأهلية أو الانقلاب أو الثورة، وعرض صوره الدولية، والتى تظهر فى حروب محددة، أو حروب عالمية أو حروب مدمرة.

ويوضح أستاذ أصول الدين د. منصور الرفاعى عبيد - بوصفه نال شرف عضوية لجنة التعريف بالإسلام بالمجلس الأعلى للشئون الإسلامية فى الثمانينيات من القرن الماضى - الرؤية الدينية للتطرف والإرهاب، مؤكدًا على أن الدين الإسلامى شأنه شأن الشرائع السماوية جميعها يرفض التعصب ويمقت العنف والتطرف وينبذ الإفراط، والتفريط فى شتى الأمور ويدعو إلى الوسطية والاعتدال وإلى التحلى بالقيم الإنسانية الرفيعة - وعلى قمتها الرحمة والإحسان والحب والمساواة والتسامح والعفو، كما يأمر أتباعه بأن يتحاوروا ويتناقشوا مع غير المسلمين بروح الصفاء والإشراق والحب والتعاون من أجل الوصول إلى مجتمع متحاب ترفرف عليه أعلام الأخوة الإنسانية والعلاقات الاجتماعية الحميمية.

وهذا الكتاب صدرت طبعته الأولى عام ١٩٨٧ عن الهيئة المصرية العامة للكتاب ضمن سلسلة قضايا إسلامية، وتعيد مكتبة الأسرة تقديمه هذا العام لأنه يدرأ الاتهامات المزعومة التى يروج لها البعض حين يصورون الإسلام دينًا يحض على التطرف والقمع والإرهاب ويتهمونه أنه وراء كل أعمال العنف والإرهاب.

مكتبة الأسرة ٢٠٠٦

# المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد المبعوث رحمة للعالمين.

أما بعد..

فإن الإسلام دين الرحمة. قال تعالى:

﴿ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ﴾(١).

وقال سبحانه لحبيبه ومصطفاه:

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾(٢).

وقال النبى صلى الله عليه وسلم:

«الراحمون يرحمهم الرحمن». وقال: «ارحموا من فى الأرض يرحمكم من فى السماء».

---

(١) الآية ١٥٦ من سورة الأعراف.
(٢) الآية ١٠٧ من سورة الأنبياء.

وقال:

«إن الله كتب الإحسان على كل شىء فإذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة وليرح أحدكم ذبيحته وليحد شفرته».

إذا كان الإسلام دين الرحمة والإحسان فقد دعا أتباعه إلى أن يجعلوا الرحمة خلقًا من أخلاقهم وطبعًا فيهم يتعاملون مع بعضهم بالرحمة. ومن هنا جاء التنبيه إلى أن يحسن الإنسان إلى جاره حتى ولو جار عليه، فقد جاء فى الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.

«والله لايؤمن، والله لايؤمن، والله لايؤمن، قيل من يارسول الله: قال الذى لا يأمن جاره بوائقه».

والبوائق هى المصائب والإساءات. فالجار وإن جار مطلوب منك كمسلم أن تتودد إليه، وأن تحسن عشرته، وأن تحافظ على ماله وعرضه، وألا تفشى سره ولاتظهر عيبه وأن تدخل عليه الأمن وتمنحه الثقة، ولاتزعجه بأن تطرق على بابه طرقًا يقلق مضجعه، وإن كنت تعلوه فلا تؤذه بأى شىء يتسرب من مسكنك إلى مسكنه تحت أى لون من ألوان الإيذاء.

كذلك نهى الإسلام عن التطرف لأنه يأتى نتيجة الكره والحقد والكبر، وكل هذه صفات مذمومة، ومن خلال ذلك حذرنا من العنف وبين لنا مغبة الإرهاب والاتسام بالدكتاتورية والتعصب. ومن أجل ذلك جاء قول الحق سبحانه:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلا نِسَاءٌ مِّن نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلا تَنَابَزُوا بِالأَلْقَابِ بِئْسَ الاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الإِيمَانِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (١١) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلا تَجَسَّسُوا وَلا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴾(١).

إذا كان الإسلام دين الرحمة والإحسان والحب والمساواة والإخاء وحرم علينا مايخالف ذلك فإن البحث الذى بين يديك ماهو إلا رؤية دينية لما شاع بين الناس جميعًا أن

---

(١) الآيتان ١١ - ١٢ من سورة الحجرات.

الإســلام وراء كل عـمل إرهـابى أو تطـرف فكرى. فـألقـينا الضـوء على أن تلك الأفكار وليدة لفكر سـقيم مـن شـخص مـريض لايفهم الإسـلام ولايعرف حـقيقـته وإن تسـمى باسـم أتباعه وتردد على دور عبادتهم.

فـالإسـلام فى صـفـاء جـوهـره ونقـاء تعاليمه دعـوة إلى كل خلق فـاضل وصـفـات نبـيلة وتمسك بما جـاء به والبـعـد عمـا نهى عنه.

وأرجـو أن أكـون قـد وفـقـت فى إلقـاء الضـوء. فـإن كـان هناك قـصـور فهـو منى ومـحـسـوب علىَّ، وإن أكن قد وفقت فـالحمـد لله الذى هـدانا لهـذا وماكنا لنهتدى لولا أن هـدانا الله. والحمد لله الذى بحمده تتم الصالحات.

**منصور الرفاعى عبيد**

# بين يدى البحث

فى الآونة الأخيرة ظهر فى المجتمع الإنسانى موجة من التطرف، أدت إلى العنف حتى وصلت إلى الإرهاب وأصبح المجتمع الآن ينام ولايدرى مايفعل به، هل هناك تطور سريع يرتفع بالإنسانية إلى مصاف التقدم والحضارة والازدهار، أم أن هناك هاوية يخطط لها جماعة من أصحاب الفكر السقيم تنحدر بالإنسانية فى وادٍ سحيق. وعقلاء الإنسانية اليوم يدركون أن تغيرًا مايخطط له فى فى فكر مجموعة من البشر، والمؤمنون يرددون قول الله عز وجل حسبما جاء فى القرآن الكريم: ﴿ وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلا بِكُمْ ﴾[1].

(1) الآية ٩ من سورة الأحقاف.

وعلى أية حال فإن ماظهر من صراع أخذ شكل العنف والإرهاب وأصبح سمة العصر الفزع والخوف والاضطراب. يتساءل كثير من الناس، هل الإسلام يقر هذا أم لا؟.. وسبب هذا السؤال أن منطقة الشرق الأوسط هى التى تموج بهذا النشاط وهى مهبط الرسالات وملتقى الأديان وأن بعض من يقوم بهذا النشاط ينسب إلى الإسلام شكلاً واسمًا.

والإجابة على هذا السؤال أن الإسلام لايقر التطرف ولا العنف ولا الإرهاب ولايرضى بهم ذلك؛ لأنه دين سماته الحب والتسامح والعفو بل الدعوة فيه ومن خلاله «أن تصل من قطعك وأن تعطى من حرمك وتعفو عمن ظلمك» والدعوة إليه قائمة على اللين والسماحة واليسر ورفع الحرج.

والقرآن الكريم وجه الدعوة إلى غير المسلمين أن يجلسوا مع المسلمين ويتناقشوا فى قضايا أمور مجتمعاتهم بروح تتسم بالصفاء والإشراق والحب والتعاون بهدف الوصول إلى مجتمع متحاب ترفرف عليه أعلام الأخوة الإنسانية والعلاقات الاجتماعية المتسمة بروح الود والصفاء.

قال الله تعالى:

﴿ قُلْ يا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللَّهَ وَلا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ (١).

أى أننا نسالم من يسالمنا ونتعايش بالحب مع من يمد يده لنا بالمودة ولعل هذا ماتشير إليه الآية الكريمة:

﴿ لا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾(٢).

إذًا الإسلام لايتخذ العنف وسيلة للوصول إلى غاية ولايرضى أن يكون المسلم متصفًا به لأن المسلم خليفة الله فى الأرض. والله هو السلام ويدعو إلى دار السلام وجعل السلام شعار المسلم فى تحيته مع إخوانه.

فما هو موقف الإسلام من الذين يمارسون العنف؟

إن الإسلام دين سلام ومحبة ووئام والمسلم يشرق قلبه دائمًا بنور الإسلام وقد علمنا ربنا أننا إذا خفنا من أحد

---

(١) الآية : ٦٤ من سورة آل عمران .

(٢) الآية : ٨ من سورة الممتحنة .

فعلينا ألا نخونه بل نعلنه حتى يكون على بينة من الأمر. يقول الله تعالى:

﴿ وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَانبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ ﴾(١).

وكما يقول ربنا بأن المسلم عليه أن يتصف بالحلم والصبر والتأنى والروية وعليه أن يستقبل الرافضين ويناقشهم فى الأمر ويتوصل معهم إلى الحل ربما تتضح أمامه الرؤية وينضم إلى جماعة المسلمين ويكون عونًا للدعوة الإسلامية وإلا فعلينا أن نرد هذا الإنسان إلى مأمنه لانهيجه ولانزعجه ولانخيفه. يقول الله تعالى:

﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاَّ يَعْلَمُونَ ﴾(٢).

فقد يكون غرر بهذا الإنسان وفهم ممن لا خلاق لهم ولا علم عندهم بأن الإسلام دين يحب سفك الدماء وأن المجتمع كافر وأنه يجب علينا محاربة المسلمين فى كل مكان وهذا الإنسان عرف أن هذا هو الحق فامتلأ فكره بذلك، فالواجب على كل مسلم أن يقوم بتقديم النصيحة

---

(١) الآية : ٥٨ من سورة الأنفال.
(٢) الآية: ٦ من سورة التوبة.

لمن كان على هذا الفكر وأن يفهمه أن الإسلام دين الحب والرحمة والتسامح لايحب إراقة الدماء ولايقرها ومن اتخذ هذا الأسلوب مطية له لفرض رأيه فهو قد جنح عن الفكر السليم وأصبح عامل شر فى المجتمع ومظهر فساد، وعلى الحاكم أن يؤدبه وعلى المجتمع أن يزجره فإن تمادى فينطبق عليه حكم الحرابة لأنه حارب الله ورسوله والمسلمين وفى تطبيق الأحكام عليه جاءت الآية الكريمة:

﴿ إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلافٍ أَوْ يُنفَوْا مِنَ الأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾(1).

هذا هو الإسلام دين المحبة الشاملة والرحمة الواسعة والإحسان فى كل شىء والعطف على الجار والتكافل الاجتماعى الذى يسود نظام الأسرة والمجتمع لأن المسلمين يسعى بذمتهم أدناهم. والمسلم أخو المسلم لايظلمه ولايخذله ولايروعه ولايخيفه لأن العبادات التى شرعها الحق سبحانه على الناس لانستطيع أن نقوم بأدائها إلا فى

(1) الآية : ٣٣ من سورة المائدة .

جو يسود فيه الأمن والسلام. ومن هنا قال الله تعالى لحبيبه ومصطفاه:

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾(١) فهو بهذا يجعل الأمن فى المجتمع لأن الراحمين يرحمهم الرحمن، إن التطرف فى الفكر يأتى نتيجة الكره والحقد والحسد والكبر؛ لذلك ذم الإسلام هذه الصفات وأخبرنا ربنا بأن المسلم لايسخر من أحد أبدًا ولايليق بنا أن نتنابذ بالألقاب لأن كل إنسان بما كسبت يداه مسئول. يقول الله تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰ . . . ﴾(٢)

والبحث الذى بين يديك هو فكر رتبناه عند وقوع الأحداث التى كانت تؤرقنا كاختطاف طائرة أو سفينة أو الهجوم المسلح على إنسان آمن أو قتل الأطفال والأبرياء وترويع الآمنين.

ولقد اجتهدت وحسبى ذلك لأننى لم أجد مرجعًا أستعين به حتى أرتب هذه المعلومات التى سطرتها فى حينها. وعندما تعرضت للجماعات الإسلامية الموجودة فى القاهرة واستقيتها من ندوة المركز القومى للبحوث، فإننى

---

(١) الآية: ١٠٧ من سورة الأنبياء.

(٢) الآية: ١١ من سورة الحجرات.

قصدت أن أبين أن الإسلام يقر الاختلاف فى وجهات النظر لكنه لايقر أسلوب العنف لإجبار شخص على اعتناق فكر معين، ولعل أكبر مظهر على ذلك تعدد المذاهب الاسلامية. فقد نختلف فى الرأى لكن لانكفر بعضنا ولانتخاصم ولانتشاحن لأن اختلاف الرأى لايفسد للود قضية، ولقد كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يختلفون فى الرأى كاختلافهم فى أسرى بدر، فأبو بكر له رأى وعمر له رأى وهكذا.

كذلك مارأيناه من اختلاف الرأى فى صلح الحديبية وأمور كثيرة رأينا فيها اختلاف الرأى ولم يكفر بعضهم البعض. كذلك ماحدث من الأئمة الأربعة أصحاب المذاهب المشهورة. كل واحد يقول هذا رأيى ولكن الحب والاحترام والتقدير لمن خالفه فى الرأى ولم يكن هناك هجوم مسلح أو تراشق بالألفاظ أو اتهام بالخروج عن الملة السمحاء وإنما عكس ذلك هو الذى تم.

ألا فلنتجه إلى هذه القضية دراسة وتمحيصًا وأن نعلن على الدنيا بأسرها أن الإسلام برىء من كل شخص يتصف بالعنف أو الإرهاب فى فرض رأيه. فهذا عمر بن الخطاب الذى كان يتصف بالعنف والشدة قبل الإسلام

عندمـا دخل فى الإسـلام رأينا فـيه الحب للناس والتعـاون معهم والإحسـان إليهم حتى لقد صعد المنبـر فى يوم من الأيام وقال:

لقد كنت أرعى الغنم لأهلى على قراريط وكان يقال لى عمـير وهاأنا ذا الآن أرعى الأمة ويقال لى أمير المؤمنين ومازلت أذكر أن جلبابى كان مرقعًا وكنت لا أجد كسرة من الخبز. فلما نزل قال له عبد الرحمن بن عوف:

مـاذا قلت يا أمـير المؤمنين؟ «فـقـال رأيت نفسى تزهو فأردت أن أؤدبها».

تلك سـمـات المسلم يؤدب نفسـه ويربيـهـا على الفـضـائل ويعـيش بين النـاس بسـمـات الإسـلام لا كـبـر ولاحـقـد ولاحسد.

فـهل يفـهـم المسـلمون هذه المعـاييـر وينشـرون ذلك على المجتمع الإنسـانى ليعرف العـالم أن الإسلام دين يقـوم على قول الحق سبحانه:

﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ (١).

---

(١) الآية: ٩٠ من سورة النحل.

وإن الذى بين يديك جهد مقل بضاعته قليلة فى هذا الميدان لكن حسبى أننى أردت أن أبين للناس ما أؤمن به وتصبو نفسى إلى نشره على نطاق واسع وآمل من وراء ذلك الخير لمجتمعنا الأمن لمنطقتنا والسلام للإنسانية ليسعد الجميع فى ظل الإسلام الذى يدعو إلى دار السلام ويقول لأتباعه:

﴿ وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَىٰ إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا ﴾(١)

والله من وراء القصد هو حسبى ونعم الوكيل.

---

(١) الآية: ٩٤ من سورة النساء.

# التطــرف

التطـرف هـو الجنوح فكرًا وسلوكًـا إلـى أقــصى طـرف اليـمـين... أو إلى أقـصى طرف اليـسـار.. وهو ينشـأ من التناقض فى المصالح أو القيم بين أطراف تكون على وعى وإدراك لما يصـدر منهـا مع توافـر الرغبـة لدى كل منهـمـا للاسـتحـواذ على مـوضع لايتـوافق بل وربما يتـصـادم مع رغبات الآخرين مما يؤدى إلى استعمـال العنف الذى يؤدى إلى تدمير الجانب الحضارى فى الكيان البشرى.

والذى لاشك فيـه أن التطرف اقـتـرن عبـر العـصـور بالعنف الدموى الأمـر الذى يقطع بالقـصـور الفكرى لدى المتطرفين كما يشهد الواقع بعجزهم الفكرى عن مـواجهة الفكر المستتير بالحجة الهادئة والكلمة الرشيدة والمنطق العقلانى.

إن المتطرفين يميلون إلى العنف وهم لايخافون من تصدى أجهزة الأمن الرسمية لهم، بل إنهم يرحبون بالصدام مع أجهزة الأمن لأنهم يستغلون ذلك ببراعة فى كسب عواطف الجماهير غير الواعية، ويرتدى المتطرفون أمام الجماهير مسوح المظلومين وقمصان الشهداء الذين يدافعون عن حق بلادهم ويقتلون دفاعًا عن عقيدتهم. وهذا زعم خاطئ يروجونه ويعلنون أن دماءهم كثيرًا ماسفكت على مذبح الحرية وأن أجهزة الأمن التى تبطش بهم تقف من ورائها الدولة مؤيدة ومؤازرة مع أنها على باطل وكل مافيها فساد، ثم يعلن المتطرفون أنهم وحدهم على حق فهم سدنة الدين وحماته الحقيقيون ويموهون بذلك على الجماهير التى لاتملك بحكم تدينها الفطرى إلا التعاطف معهم... ويقصدون من وراء كل هذا الوصول إلى مايريدون تحقيقه من الوصول إلى الحكم أو فرض مايريدون من أحكام سياسية أو دينية أو اقتصادية على الدولة لتسير حسب هواهم ووفق مايريدون.. وفى الوقت نفسه يشكل العنف فى أعماقهم غموضًا يدفع بهم إلى الرغبة فى الانتصار والسيطرة على كل شىء. والإمساك بمقاليد الأمور.

# أسباب التطرف

ينشأ التطرف دائمًا نتيجة الصراع بين الأجيال؛ ذلك لأن الولد عندما يستمع إلى توجيهات أبيه يجد أنها لاتتلاءم مع تطلعات فكره وما يرسمه فى ذهنه من أمور يقيسها برأيه وحسبما يتفق وهواه.

والولد يشعر بالفرق الشاسع بين رأى أبيه ومايعتمل فى وجدانه وأحاسيسه وبداية من هذه النقطة يبدأ التطرف فى التفكير لدى بعض الشباب الذين لايريدون أن يعيشوا واقع حياتهم ونحن على مسرح الحياة نرى أن هذه الأمور تعطى تناقضًا فى الفكر أحيانًا فإذا مانظرنا إلى أسرة تتكون من جد - وأب - وابن... فإننا نرى أن الجد يعيش بعقلية أيامه وفكر زمانه فهو يؤمن أن على الولد إذا أراد أن يدخل على من هو أكبر منه سنًا ومقامًا فعليه أن يدخل

بالملابس الكاملة من ربطة العنق وغطاء الرأس... لكن الأب - ابن الجد - يرى أنه لابأس بدخول الولد على من هو أكبر منه سنًا ومقامًا بالملابس العادية بشرط أن يكون مرتديًا الجاكتة.

أما الابن - الحفيد - فإنه يرى أنه لابأس من الدخول على من هو أكبر منه سنًا ومقامًا بالبنطلون والقميص فقط ولابأس أن يكون فى يده سيجارة لأنه على حد تعبير الشباب: - مفيش حد أحسن من حد... وهذا التعبير وإن كان كلمة حق لكن وضعت فى غير موضعها، فالمفروض أن يحترم الإنسان من هو أكبر منه سنًا ومقامًا وأن على الإنسان أن يوقر غيره وأن يستعمل الأسلوب المهذب عند لقاء الآخرين....

إن هذا هو مانسميه صراع الأجيال ذلك لأن كل جيل له معاييره الأدبية وقيمه البيئية. لو أن الأجيال توارثت قيمها وكان هناك تفاهم بين الأجيال الطاعنة فى السن والشباب المتفتح للحياة لاستقام الأمر ولم يكن هناك نفورًا وتطرفًا فى الفكر.. وبتطور الأمر ولم يكن هناك نفورٌ وتطرفٌ وينتقل إلى لون آخر وهو مانراه من صراع بين العلماء

والعلمانيين ومانراه من صراع بين العلماء الجامدين عند رأى معين وفكر محدود وبين العلماء الذين يتطورون مع الحياة.

إن الأسرة هى اللبنة الأولى فى كيان المجتمع ولها دفء خاص وحنان فياض يشعر بذلك الصغار وينمو مع الأطفال وهناك عطاء متجدد يواكب الزمان ويتلاءم مع المجتمع فكلما كانت الأسرة متماسكة متفهمة يدور حوار بين الأب وأبنائه يطرح الرأى ويسمع الرد ويستشيرهم، وهذا الحوار الذى يتم بين الأب أو الجد والأبناء. ظاهرة صحية للتكامل الأسرى وفيه نصيحة المجرب الذى يختار اللفظ الذى يجعل النصيحة مقبولة ولها وقع طيب فى نفوس الأبناء لما يشعرون به من دفء عاطفى وعطاء مغلف بالحنان وهنا تكون النتيجة أحسن والثمرة طيبة، وإذا كانت الأسرة هى اللبنة الأولى فإن المدرسة متممة لرسالة الأسرة مصححة للأفكار موسعة للمدارك ملبية للرغبات الملحة فى عقل النشء ووجدانه مجيبة لكل أسئلة تلح فى أعناقهم وتطن فى آذانهم وتعتلج فى وجدانهم... من هنا... كان دور المدرسة خطيرًا الأمر الذى يدعونا إلى إعداد المعلم وحثه على أن يكون شخصية متميزة بسمات معينة تجعل الطلاب

يتعلقون به ويتخذونه قدوة فى كل أعماله... ولعلنا نذكر أنه من أسباب الانحراف.. هذا التعارض وعدم التطابق بين القول والعمل لما يراه الطفل ويسمعه من أستاذه فهو يسمع أن الدخان له تأثير مضر بالصحة ولايرى أستاذه إلا والسيجارة معلقة فى فمه أو بين أصابعه... يرى أن أستاذه يأتى مجهدًا إلى الفصل ومايكاد يصل إلى المقعد إلا ويتثاءب ويظهر عليه الضيق والانفعال خاصة إذا ما اقترب منه أحد الطلاب.

وهنا يكون النفور وتكوين فكر معين عن المجتمع الذى يمثله هذا الأستاذ وإذا ماتركنا المدرسة فإن التلميذ يرى فى الشارع أمورًا تخالف ماتعود عليه فهو فى المدرسة يقرأ فى الكتب أو يسمع من المدرس أن الصدق فضيلة ولايجوز لأحد أن يسب الآخر وأن على الرجل أن يغض بصره عند رؤية الجنس الآخر وهاهو فى الشارع يرى التاجر يقسم الأيمان المغلظة وسائق التاكسى وهو خال من الركاب لايستجيب للأيدى التى تلوح له.

وهذه «أفيشات» معلقة على دور السينما تلهب العواطف وتؤجج الغرائز: يرى كل ذلك ويتعجب ويقول لنفسه:

أين ماتعلمته فى أحضان أسرتى وأين ماقرأته وسمعته من أساتذتى وإذا ماتركنا كل ذلك وتصفحنا وسائل الإعلام فإننا نرى التناقض فى الجريدة الواحدة أو الخبر الواحد ففى أول الجريدة مثلا نقرأ دعوة على لسان المسئولين أن الصحراء تفتح ذراعيها لاستقبال الشباب وأن الدولة سوف تعطيهم الإمكانات... و... و....

وإذا ماجئنا إلى آخر الجريدة وجدنا الرسم الكاريكاتيرى الذى ينطق بصراحة بأن كل ماقيل كذب فى كذب بل نقرأ فى «فكرة» أن وزيرين قالا كلامًا ليس له حقيقة ولاظل من حقيقة.

أين الحقيقة إذًا... هنا يكون الصراع النفسى والتمزق الفكرى ومن هذا المنطلق يكون لدى الشباب استعداد لمعرفة الحقيقة وعندئذ تتلقفهم يد توهمهم بأنها الحانية عليهم وأنها تحمل المفتاح السحرى لهم وتفرش الطريق لهم بالورود والرياحين وماهى إلا أيام ويجد الشباب أنفسهم قد جندوا فى وسط شخصيات لاترحم وقد عمل لهم غسيل مخ وعندئذ يصبحون وقد اعتمل الشر فى نفوسهم

نحو المجتمع الذى يعيشون فيه. الذى تذبح فيه الفضائل وتنهار فيه القيم والمثل العليا.

ونخلص من ذلك إلى أن أسباب التطرف هى:

١- صراع الأجيال الذى ينشأ فى الأسرة الواحدة.

٢- التفكك الأسرى الذى ينشأ نتيجة انشغال الأب وغياب الأم عن رعاية الأبناء وتدبير أمورهم والإشراف عليهم.

٣- غياب القدوة الصالحة من المدرسة وعدم رعاية الأستاذ لتلامذته وعدم معرفته بمشاكلهم والقدرة على حلها بل أصبح فى بعض الأحيان. الأستاذ هو الذى يلجأ لبعض الطلاب لحل مشاكله.

٤- الانفصام بين مايقال للشباب ومايجرى فى الشارع وعدم إظهار الحقيقة فى وسائل الإعلام وتضليل الشباب تحت شعارات لا أساس لها.

إن كل ذلك يؤدى إلى التطرف الفكرى مع نمو العنف فى أعماق البعض والسيطرة على مشاعرهم لتدمير كل شىء لأنهم لايعرفون أين الحقيقة.

من هنا تكون نقطة البداية لمرحلة العلاج الذى نرى أنه يكون تلافيًا لكل ماقدمناه حتى يكون المجتمع على وفاق تام بين شيوخه وشبابه. قيادته وجماهيره، وفى هذا الجو ترفرف على جنبات المجتمع أعلام المحبة والسلام....

# الإعلام والتطرف

الإعـلام له دور خطيـر فى تكوين الرأى العـام. ذلك لأنه المرآة التى تكشف الحقائق السياسية والدينية والاجتماعية والاقتصادية والرياضية والفنية أمام الجماهير.. كما أن الإعلام هو شبكة اتصال عالمى لربط كافة الاتجاهات الإنسانية وإبراز النهضات العلمية والتطورات الاجتماعية. لذلك فإن تأثيره خطير فى نفوس الجماهير ولكل وسيلة من وسائل الإعلام رواد وعشاق حيث يلعب الإعلام فى حياة المجتمع الإنسانى دورًا خطيرًا لأنه مرآة عاكسة لآراء القيادات أمام الجماهير.

والإعلام المحلى هو الآخر يشكل خطورة إذا لم يقم عليه جهاز له كفاءة وقدرة على قيادة النفوس قيادة حكيمة. فهو يتحدث عن الواقع البيئى مع مراعاة الظروف

الاجتماعية والوسط الثقافى كذلك نلحظ أن الإعلام العالمى تكمن خطورته الآن من حيث نقله للأخبار العالمية لحظة وقوع الحدث. وقد يكون هناك تهويل ووصف مبالغ فيه. وهنا يحدث الانزعاج وتكون الطامة الكبرى لدى المشاهدين أو المستمعين أو القارئين... ونستطيع أن نقول إن وسائل الإعلام تخاطب الجماهير كلها فى جميع مراحل العمر وتفاوت الثقافة... الذكر والأنثى على حد سواء.. إن العالم الآن أصبح كفنجان فى يد شارب القهوة يشاهد ويسمع. لذلك كانت خطورة الأمر عندما تضخم وسائل الإعلام الحدث الذى يقع فيكون رد الفعل المعاكس فى نفوس الشباب هو ما نراه الآن من السلوك التدميرى المخرب.

ومن المعلوم لدينا أن وسائل الإعلام الآن تنوعت من تليفزيون إلى مسرح إلى سينما إلى فيديو إلى راديو إلى جريدة أو كتاب.

**كل تلك الوسائل تؤثر فى النفس تأثيرًا بليغًا.**

**لهذا نستطيع أن نقول إن الإعلام بما يشوبه الآن من بعض المواد الهابطة أخلاقيًا جعل الشباب يجنح إلى**

التطرف لما يراه ويسمعه من تناقض فى الآراء وتضارب فى الأفكار وتطاول بالكلمات ونشر أخبار لا أساس لها فى الواقع وإلقاء الضوء على شخصيات مهزوزة أو التهكم على القيم الدينية والتهجم على الأخلاق الفاضلة.

والوصف المبالغ فيه للرذيلة كيف وقعت والضحية وما ألم بها وقد نرى عند إجراء التحقيقات أنه لا أساس لكل ما قيل، أو حدث فعلا وجاء الحكم مخيبًا للآمال حيث لم يتناسب مع قبح الجريمة التى نشر عنها هنا تكون أزمة الثقة.. وعدم الرضا عن تلك القيادات الإعلامية. وعن كل من يخالف منهجهم المرسوم حتى ولو كان المجتمع الذى يعيشون فيه حيث سمح لمثل تلك الوسائل لأن تقول ما تقول وتبالغ ما شاءت لها المبالغة مجافية للحقيقة.

ولقد قرأنا فى بعض الصحف أن قيادات الشرطة تطارد التاجر المستورد (فلان) لأنه استورد مواد غذائية لاتصلح للآدميين وأنه طرحها فى الأسواق وربح من ورائها (كذا وكذا) واقترض من بنك (كذا) ملايين الدولارات ثم تبين أنه هرب أمواله إلى الخارج وهاجر مع أسرته بينما نقرأ فى وسائل إعلامية أخرى عن أشياء مطروحة فى

السوق باسم هذا التاجر المستورد.. هنا يقف الشباب حائرًا يضرب كفًا بكف ويقول: أين الحقيقة؟ ومن أى مصدر أستقيها. نقرأ فى وسيلة إعلام أخرى عن أن شركة لاستثمار الأموال فتحت محلات فى (...) واستوردت أدوات (...) ولها فروع و... و... و... وأنها توزع الأرباح ما بين ٢٠٪ إلى ٣٠٪ ويتهافت الناس على تلك الشركة ويذهبون بكل أموالهم ومدخراتهم لإيداعها فى تلك الشركة هروبًا من البنوك التى تمنح ٩٪ مع وجود شبه ربوية حسب ما يشاع بين الجماهير بينما نقرأ فى جريدة أخرى أن هذه الشركة خسرت ملايين ويذاع الخبر ويضرب الناس كفًا على كف ويصيحون «أموالنا ضاعت» أما الباقى فيقولون: أين الحقيقة؟!.

تخرج بعض الجرائد تتهم قيادات الصناعة فى مصر بأنهم تواطأوا وارتشوا على حساب العمل الصناعى الذى يعمل فيه الملايين من أبناء مصر ويزج بهم فى السجون وتخرج بعض الجرائد وتقول المتهم برىء حتى تثبت إدانته: هذه الكلمة لم يعرفها المحرر الآخر. أم أن ذلك مقصود للتلاعب بعواطف الناس المهم: هناك تخبط وتضارب وهدم وبناء واتهام وتبرئة كل ذلك فى آن واحد.. من المضلل إذًا؟

أهو الجمهور الذى تشكو منه وسائل الإعلام إن ضج هذا الجمهور واشتكى وتبرم وتألم؟ أم من المقصود بهذا التضليل؟ من هنا ينهض من سباته الفكر المتطرف والحكم على المجتمع بالكفر والضلال والذى يحكم بهذا، الأدلة فى يده يلوح بها ويقول للناس تعالوا نقرأ فى وسائل الاعلام واحكموا معى أين الحقيقة؟

فإذا ما رجعنا إلى نشرات الأخبار المصورة أو المسموعة فإننا نجدها تقترب مما هو فى وسائل الإعلام المقروءة.

لذلك كان الأمر فى غاَية الخطورة عند عدم تحرى الدقة ونشر الأخبار عفويًا وإلصاق التهم بالأبرياء أو الحكم على القاتل بالبراءة بمعنى أننا نريد أن يكون هناك دقة فى نقل الأخبار ومراعاة مشاعر الجماهير وعدم التلاعب بعواطفهم وتحديد مفاهيم يتفق عليها بين تلك الأجهزة حتى لايكون التضارب واضحًا والتناقض ظاهرًا وعدم الثبات على المبدأ عند نشر القصة أو ما شابه ذلك.

إننا كثيرًا ما نقرأ الحدث وبعد أيام نقرأ التصحيح والتصويب لكن متى؟. بعد أن يكون قد استقر فى الأذهان وقع تلك الكلمات التى قالها كاتب لم يتعرف على الحقيقة

وإنما سمع بقصة فصاغ حولها من نسج خياله وأعطاها من الحبكة الفنية ما يجعلها فى ذهن القارئ كأن شيئًا وقع بالفعل.

وإذا كنا نقول ذلك فنحن لانطالب بالرقابة وإنما نطالب بتحديد المفاهيم وصدق القول ودقة التعبير وعدم التهويل حتى لاتصاب الجماهير بخيبة أمل عندما يقرءون بعد ذلك ما يناقض ما قيل بالأمس القريب.

لذلك نحن لانبالغ إذا قلنا بأن الإعلام له دور خطير يكمن فيما ينقله إلى الجماهير من أخبار وآراء وحوادث وقضايا تتعلق بأمن البلد واستقراره ونظافة قيادته وطهارة أبنائه. فالصدق مطلوب والحق أحق أن يتبع.

إن ما تقص به الأفلام السينمائية والتمثيليات وما على أشرطة الفيديو من قصص لايمت إلى واقعنا بشىء من قريب أو بعيد والأمر كذلك فى معظم الأغانى والذى لاشك فيه أن انفصامًا وقع بين أجهزة الإعلام والحقيقة: مما أدى إلى الجنوح والتطرف لبعض فئات الشباب فى الآونة الأخيرة.

# الرؤية الدينية للتطرف الفكرى

إن الدين عند الله الإسلام.. فهو ملة أبينا إبراهيم عليه السلام ومن سبقه من الأنبياء ومن جاء بعده إلى أن ختمت الرسالات السماوية بسيدنا محمد (ﷺ) الذى ختم الله برسالته الرسالات وتمم بشريعته الشرائع التى سبقته وسجل الحق سبحانه وتعالى ذلك فى محكم التنزيل حيث قال:

﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا ﴾[1].

والشرائع السماوية كلها ترفض التعصب وتمقت التطرف ولاترضى للناس أبدًا يعيشوا متفرقين.. لأن الحق سبحانه وتعالى أمر البشر أن يسكلوا إليه أقوم السبل وألا

---

(١) الآية ٣ من سورة المائدة.

يتجاوزوه أو يحيدوا عنه ذات الشمال ولا ذات اليمين وأن يتخذوا فى هذا السبيل كل طاقاتهم وجميع ما لديهم من قوى مادية وروحية وكونية وألا يهملوا من ذلك شيئًا أو يغفلوه أو يغضوا الطرف عنه وأن يكون منهجهم القصد والتوسط والاعتدال الذى يجمع أطراف الخير ويفيض على ناصيته. والذى ينسجم مع الفطرة ولايتصادم معها وينهض بها ولايهدمها والذى يتعامل به الإنسان مع الحياة ويعايشها فى مودة وهوادة وأناة ورفق.. ونلحظ أن الإسلام فى جميع شرائعه وشعائره وتكاليفه التى أوجبها على البشر أو ندبهم إليها إنما جاء ليطبق سنن الله فى الفطرة وما تطيقه وتتحمله فى يسر وتخفيف وسهولة.. لامشقة ولا إفراط ولاشطط سواء كان هذا فيما يتعلق بعباداتنا وعاداتنا وأخلاقنا وسلوكنا أو فى كل شئوننا التى تتعلق بالحياة.

إن هذه الوسطية وهذا اليسر الذى يشع فى جنبات التكاليف الألهية هداية ونورًا وهذا الاحترام الكامل للعقل والإرادة هى جميعًا طليعة الأمور الحيوية التى كفلت لهذا الدين بقاءه وصلاحيته وخلوده..

ثم من جهة أخرى نرى أن ذلك من ألزم الأمور التى أعانت البشر وأثارت فيهم مراكز الإدراك وجذبتهم لهذا الدين لأنهم يفكرون فيه، قبل أن يؤمنوا به ثم يقومون بواجباتهم ويؤدون شعائرهم وينهضون بما حمل إليهم ونيط بهم من أمانة الدين وإمامة الدنيا وخلافة الحق.

إن الإسلام دين قصد ويسر ودين الحكمة الشاملة والبصيرة النافذة والالتزام الدقيق بواجبات الحق وقواعد السلوك وشروط الحوار وآداب البحث والمناظرة وموضوعية النقاش والجدل وأن الغاية لاتبرر الوسيلة بحال من الأحوال.

ونلحظ أن الإسلام أمر المسلم أن يكون واسع الصدر طيب العاطفة كريم الخلق. يستمع لغيره كما يحب لغيره أن يستمع إليه لأن الإسلام دين يجب أن تقوم معرفته على القواعد والأصول، وأن الإيمان به لابد وأن يكون عن اقتناع تام كما أمر المسلمين ألا يكرهوا غيرهم على الدخول فيه قال تعالى:

﴿لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾(1).

---

(1) الآية ٢٥٦ من سورة البقرة.

كما قال سبحانه لحبيبه ومصطفاه:

﴿ وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ ﴾[1].

وقال سبحانه:

﴿ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴾ [2].

ثم نرى الإسلام وهو ينظم الحوار بين المسلم وغير المسلم بأسلوب يتسم بالأدب فقال سبحانه:

﴿ وَلا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾[3]

كما قال سبحانه:

﴿ لا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلاَّ مَن ظُلِمَ ﴾ [4]

فهذا الأسلوب الحوارى نرى فيه التوجيه الإلهى وهو يبين لنا أننا نجادل غير المسلم بالإحسان والكلمة الطيبة والحكمة والموعظة الحسنة. كما أن الحق أخبر أنه فى حالة الجدال لايجوز للإنسان أن يجرح خصمه ولايتطاول

---

(١) الآية ٢٩ من سورة الكهف.
(٢) الآية ٩٩ من سورة يونس.
(٣) الآية ٤٦ من سورة العنكبوت
(٤) الآية ١٤٨ من سورة النساء.

عليه بألفاظ تحط من قدره أو تخدش حياءه ﴿ لا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ ﴾(١).

وفى هذا جاء قول الحق سبحانه: ـ

﴿ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا ﴾(٢).

وقال سبحانه: ـ

﴿ وَلا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴾ (٣).

ولقد تميز الإسلام بأنه دين يتفق مع العقل السليم فى منطوقه وتفكيره وعندما يعرض قضيته يعرضها بوضوح لا لبس فيها ولاغموض بل يقول للمسلم إن جاءك مشرك يستجير بك فاعرض عليه القواعد الكلية للإسلام فى إطار الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة فإن استجاب فبها ونعمت وإذا لم يستجب لك فلا تفزعه ولاتقهره. بل عليك أن تحميه حتى يصل إلى مأمنه.

---

(١) سورة النساء آية ١٤٨

(٢) الآية ٨٣ من سورة البقرة.

(٣) الآية ٣٤ من سورة فصلت

قال تعالى:

﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاَّ يَعْلَمُونَ ﴾[1]

من هذا المنطلق نرى أن الإسلام ـ وهو شرع الله الذى ارتضاه لعباده ـ لم يقهر أحدًا على قبوله ولم يرغم شخصًا على الدخول فيه وإنما هو عرض وتبسيط ويسر وسهولة فمن استجاب فله الحسنى ومن لم يستجب فحسابه على الله.

(١) الآية ٦ من سورة التوبة.

لقد تبين لنا أن التطرف الفكرى لايقره الدين ولا يرضى به كما أنه لم يقبل إكراه أحد على الدخول فيه. ومن المواقف التى حدثت للداعية الأول سيدنا محمد (ﷺ) أنه وقف يعرض القرآن على جماعة من أغنياء المسلمين ويلح عليهم للدخول فى الدين... وقال المشركون الأغنياء لسيدنا محمد(ﷺ) اطرد الفقراء من صفك أو على الأقل اجعل لنا يومًا ولهم يومًا وهنا نزل قوله الحق سبحانه:

﴿ وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا ﴾ (١).

(١) الآية ٢٨ من سورة الكهف

وموقف آخر عندما عرض الرسول ﷺ على المشركين وجاءه سيدنا عبدالله بن أم مكتوم وكان كفيف البصر ونادى على رسول الله ﷺ وقال له علمنى مما علمك الله وكان الرسول منشغلا مع أغنياء المشركين فلم يقبل ﷺ هذا الأمر من ابن أم مكتوم فأنزل الله عز وجل:

﴿ عَبَسَ وَتَوَلَّىٰ (١) أَن جَاءَهُ الْأَعْمَىٰ (٢) وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّىٰ (٣) أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ الذِّكْرَىٰ (٤) أَمَّا مَنِ اسْتَغْنَىٰ (٥) فَأَنتَ لَهُ تَصَدَّىٰ (٦) وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ ﴾[1]. إن جوهر الإسلام وحقيقة الدين عقيدة راسخة تتشربها النفوس وتتغلغل فى القلوب والأعماق ولايمكن أن يتأتى ذلك إلا عن طريق الإقناع الحق والمنطق السليم والرضا والاطمئنان حتى ممن يحتاج إلى الجدل والمناقشة. ومن ثم فلا يمكن أن يتأتى منطق الإكراه والإجبار فى اعتناق أية عقيدة فضلا عن عقيدة الإسلام القائمة على الصراحة والرفق والموعظة الحسنة أسلوب الدعوة ولسان حالها والناطق باسمها فمن آمن وصدق بحقيقتها كان هذا هو المطلوب ومن أعرض

---

(١) الآيات ١ - ٧ من سورة عبس.

عنها وركب متن الشطط فقد أعذر فيه الداعى وأدى ما عليه وكان هذا هو البلاغ وصدق الله العظيم.

﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾(١).

إن الإسلام دين يحترم العقل ويقدره حق قدره ولايقبل عقيدة إنسان غاب عقله تحت أى ضغط من ضغوط القهر والجبر والتسلط وإنما لابدأن يكون الإيمان ناشئًا عن إرادة واختيار.

روى البخارى عن أنس رضى الله عنه أن غلامًا يهوديًا كان يضع للنبى ﷺ وضوءه ويناوله نعليه فمرض فأتاه النبى ﷺ وأبوه قاعد عند رأسه فقال له النبى ﷺ: قل: لا إله إلا الله ـ فنظر إلى أبيه فسكت أبوه، فأعاد النبى ﷺ فنظر إلى أبيه، فقال أبوه أطع أبا القاسم فقال الغلام: أشهد أن لا اله إلا الله وأنك رسول الله. فخرج النبى ﷺ وهو يقول: الحمد لله الذى أخرجه من الكفر.

كذلك ما روى عن أبى هلال عن أسبق قال : كنت فى دينهم أى فى دين المسلمين مملوكًا نصرانيًا لعمر بن الخطاب. فكان يعرض علىَّ الإسلام ويقول يا أسبق لو

---

(١) الآية ٦٧ من سورة المائدة.

أسلمت لاستعملناك على بعض أمور المسلمين... ثم يقرأ (لاإكراه فى الدين). ونرى فى هذا أن الدين يعرض على الناس عرضًا مجردًا من أية شائبة ضغط.

والذى يستبين لنا من قراءتنا للتاريخ والسيرة النبوية أنه لا إكراه تحت أى ظرف . وقد يقول قائل. وما مشروعية القتال فى الإسلام ونقول شرع القتال... للدفاع عن النفس... ورد المعتدين... وتأمين الحدود للدولة الإسلامية؛ ولهذا نرى أن الرسول ﷺ كان عند كل بعثة للجهاد يوصيهم بعدم قتل الصبيان والنساء والشيوخ والرهبان وأن على المسلمين أن يعرضوا عليهم الإسلام فإن قبلوه وإلا دفعوا الجزية حتى تكون بمثابة تعاون مالى لإعداد الجيش الذى يرد الظالمين ويؤدب قطاع الطرق حتى يحمى الطرقات من أى قاطع طريق.

فالإسلام لم يشرع القتال لأنه وسيلة لإجبار الناس على اعتناق الإسلام وإنما شرعه لتأديب المعتدين وتقليم أظافر المجرمين وحماية الطريق العامة وحتى لايكون هناك من يترصد للمسافرين يقتنص حقهم ويزهق أرواحهم.

لقد عاب الإسلام على بنى إسرائيل تطرفهم الفكرى وإطالة الحوار والجدل مع سيدنا موسى وقص علينا القرآن هذا النوع فى العديد من المواقف وسواء أكان هذا مع سيدنا موسى أو سيدنا عيسى ليكون أمام أعيننا نموذج نأخذ العبرة منه وتكون الأدلة بين أيدينا على أن الحوار إذا لم يقصد به الوصول إلى الحق فإنه يؤدى إلى باطل وعلينا أن نتجنبه إلا فى أضيق الحدود فقد جاء فى الحديث عن رسول الله ﷺ قوله: أنا زعيم بيت فى الجنة لمن ترك الجدل ولو كان على حق.

وإذا كان بعض الشباب يتطرف فى التفكير باسم الإسلام فإننا نقول:

الإسلام يكره هذا اللون من التفكير. وقد ضرب لنا أمثلة عديدة عملية لتكون العبرة بين أيدينا واضحة...

نأخذ مثلا الصلاة هى فريضة على كل مسلم ومسلمة ورغبنا الإسلام فى إقامتها جماعة لأن ثوابها عظيم وأجرها كبير والمسلمون يأتمون بإمام واحد إن قرأ سكتوا ولايسبقونه بركوع أو سجود. ولايخرجون من الصلاة إلا إذا خرج.

ما معنى هذا؟! إنه تدريب على العمل الجماعى فى الوقت نفسه التزام من جانب المأموم ألا يخرج على الصف ولايسبق الجماعة لأن يد الله معهم ومن شذ عن الجماعة شذ فى النار.

والإسلام بهذا يسوى بين الناس ويقول لهم إن الإسلام وحد بينكم وسوى فى الحقوق والواجبات بين الجميع فلا عصبية ولاتنابذ ولا سباب ولا تكفير لأن كل ذلك يؤدى إلى القطيعة والفرقة وتلك أسلحة ينهزم بها المسلمون ويتيهون فى الأرض فإذا كان الإسلام قد قوى صفكم ووحد جمعكم فلا تتفرقوا حتى لايصيبكم العذاب الأليم فى الدنيا والآخرة.

إن كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه ولايجوز لمسلم أن يفسق مسلمًا لأنه من رمى أخاه بالفسوق عاد إثم ذلك عليه.

# الإعلام الدينى

يقصد بالإعلام الدينى دور العبادة وعلماء الإسلام. والمنبر فى المسجد دوره خطير لأن تأثيره فى الناس قوى جدًا فهم يدخلون إلى المساجد بشفافية روح وسمو قلب وطيب عاطفة يخلعون على أبواب المساجد أرديتهم الحزبية وميولهم الفكرية ويقبلون على الله وقلوبهم ليست متعلقة بالدنيا فهم مقبلون على الله يستمعون إلى آياته التى تخشع لها القلوب وتهتز لها النفوس.

ووسائل الإعلام الأخرى مساعدة لهذا الجهاز العظيم.

فالقرآن يتلى من الإذاعات أو التليفزيون والمواقف الدرامية فى المسرحيات أو السينما التى تحث على الخلق الفاضل وتبين نهاية المؤمنين ومصير الكافرين.

من أجل ذلك كان عالم الإسلام إذا وجد على الساحة اهتز لوجوده الكون والتف حوله الجميع لأنه طبيب النفوس ومعالج الأرواح فإن غاب عالم الدين فقد غاب الحق وظهر الباطل... إذًا لاينشأ الفكر المتطرف إلا إذا غاب الفكر الواعى المستنير.

والذى نشهده فى أيامنا الأخيرة كثرة المساجد وزيادتها الأمر الذى شكل خطورة تؤرق جفون المسئولين الذين يجابهون مشكلة النقص الحاد والمستمر فى الدعاة ـ الأمر الذى ترتب عليه أن يعتلى المنبر من لا يقدر للكلمة قدرها ولايعرف للأمور حقيقتها لأنه دون المستوى المطلوب. فبدأ يتخبط فى كلامه الذى يجمعه من شتات ويلقيه غير مرتب مع سردهم لقصص لا وجود له فى أثر ولا مصدر يعول عليه.

وقد استهوى البعض هذا القصص وانساقوا وراءه والتفوا حول قائله. وهنا كانت الطامة الكبرى... غاب الفكر الواعى وظهر الفكر المضطرب غير المستنير فكانت نتيجة ذلك ظهور فئة من الشباب يتعصبون لشخص ما ويأخذون عنه وينقلون فكره بينما هو لايعرف شيئًا عن سماحة الإسلام ولايعرف الأسباب الحقيقية وراء تعدد

زوجات النبى ﷺ فبدأ فى إعطاء فكر سيىء عن الإسلام وأظهر الإسلام هنا بمظهر التعصب الذى ظهر مع المتطرفين واتصافهم بالعنف وتمردهم على المجتمع وتكفيرهم لكافة القيادات وتحريم أموال الدولة. وكل ذلك نابع من فكر سقيم لم يعرف عن الإسلام إلا اسمه ولا عن الشريعة إلا شعارها فلم يتبين له الحق إن اختلت لديه المفاهيم وحاد عن المنهج القويم وهنا تأتى الصحوة. والسؤال ماذا نصنع حتى يكون الشباب على بصيرة وحتى نوضح الصورة أمامهم.

الحق أن الأمر فى غاية السهولة هو أن نفسح المجال للدعاة وأن نفسح لهم فى خريطة الإذاعة والتلفزيون ووسائل الإعلام ثم علينا أن نجذب الدعاة إلى الأندية الشبابية ومراكز التجمعات وأن يكون لهم دور فى كل شىء حتى فى الجمعيات الزراعية والاستهلاكية ونقابات العاملين بكافة مستوياتها لإقامة حوار دائم فيه حسن الكلمة وصدق التعبير عن الإسلام و قيمه ومصادر المعرفة وكيف نأخذ منها. وعلينا إلا نقول التطرف الدينى لأن الدين لايقر التطرف ولايرضى به خلقًا لمعتنقيه لأنه يسر ويدعو إلى السماحة وشبابنا بخير وإن كان فئة تسىء إلى

الأكثرية فالعلاج فى غاية البساطة وهو أن نبين يسر الإسلام وسماحته وأنه لاتعقيد فيه وأنه يكره التطرف والمغالاة فى الأحكام والشطط فى الرأى ونحن نوضح ذلك علينا أن نهتم بالأسرة ورعاية أمرها والمدرسة وضبط المنهج الدينى على البساطة والتوضيح وحضور القدوة الطيبة من مدرسى الدين واللغة العربية أمام الطلاب فى جميع المراحل وتهيئة المصلى بالمدرسة والجامعة والمصنع والأماكن التى بها تجمعات كالأندية وما فى حكمها.

إن كل ذلك يجعل الشباب يتفهم كثيرًا فى دينه ثم نرى رجل الآداب ينزل إلى الشارع فيلغى ما فيه من أفيشات أو ملصقات تهز القيم الأخلاقية وتثير الغرائز الجسدية. وإحكام الرقابة على أشرطة الفيديو التى تهدم ما يبنيه الداعية فى عام فى دقائق معدودات والأمر بعد ذلك يدعونا إلى:-

١- النظر فى أمر المساجد التى أصبحت بهذه الكثرة فنرى أن صاحب العمارة وأمامه مسجد كبير يبنى زاوية صغيرة فى أسفل عمارته ويأتى لها بمكبر للصوت ويدعو أى شخص يلقى خطبة الجمعة. فعلينا أن نحذر

من ذلك وأن نوصى الجهات المعنية بأنه لايجوز إقامة صلاة الجمعة بالذات إلا فى المسجد الجامع الذى استوفى شروطه ولابأس من التصريح بإقامة الجمعة فى زاوية صغيرة تحت المبنى إذا لم يكن بالمنطقة مسجد جامع. وتؤدى الصلوات بتلك الزاوية.

٢- نوصى الجهات المعنية بالتربية والتعليم على اختلاف مراحلها يكون هناك (منهج) للثقافة الإسلامية (بدءا من الحضانة وانتهاء بالجامعة).

٣- إدارة حوار ثقافى دينى فى المنتديات والتجمعات بين آن وآخر بحيث يكون هناك التنسيق بين تلك الجهات ووزارة الأوقاف.

٤- توسيع الرقعة الإعلامية للثقافة الإسلامية فى جميع وسائل الإعلام المقروءة والمسموعة والمرئية.

٥- حث البنوك الإسلامية على تصنيع أشرطة للفيديو فيها الثقافة والمحاضرات والتوجيهات والتمثيليات الإسلامية.

وأنا إذ أقدم هذا البحث أرجو الله تعالى أن يوفقنا إلى كل خير فيه صالح المجتمع الذى نعيش على أرضه... والله الموفق...

# العنف

وهل العنف فطرى أم مكتسب؟

إن أى دارس لتاريخ العنف يطرح على نفسه هذا السؤال. هل العنف غريزة فطر عليها الإنسان أم هو رد فعل مكتسب؟

لأنه ليس من شخصية تعيش فى هذا المجتمع إلا ولها تأثير فى البيئة التى تعيش فيها فالفرد مهدد ومهدد لأننا نرى ونلمس أن الصراع من أجل البقاء.

لذلك نلحظ أن الوليد لحظة دخوله هذا الكون يحيى الوجود بصرخة هى تفريغ حقيقى للتوترات الداخلية وهو منذ أشهره الأولى يصيح حنقًا ويلوح بيديه ورجليه فى كل اتجاه وعندما يشعر بالجوع والوحدة يبدو منه رد فعل عدوانى يسبب له أحاسيس مؤلمة.

وفى خلال السنتين الأوليين من عمره يضرب الأرض بقدمه ويتلوى على الأرض. ثم بعد ذلك بعد أن يكبر قليلا نراه يهاجم الجدران التى أمامه يضرب رأسه فيها ويشد شعره ويضرب من حوله ويعضهم...

فإذا بدأ الكلام فإنه يفرغ ذاته من بعض عدوانيته. ويستمر هكذا فى كل أطوار حياته إلى أن يثير اكتشاف الجنس اهتمامًا متزايدًا لديه يسبب له حيرة وقلقًا.

وطوال فترات ما قبل البلوغ والمراهقة تأخذه شتى الاضطرابات النفسية، فأيامه أرق أو كوابيس مخيفة، وهكذا يتحتم على الفتى أن يقبل الصراع بين طبيعته البدائية والنماذج السلوكية التى يفرضها عليه المجتمع. وخلال هذا الصراع النفسى يتحتم على الملاصق للطفل أن يهذب نفسه ليكون قدوة أمام هذا النشء الذى يعيش فى صراع داخلى تحت مؤثرات فطرية.

وخلال كل ذلك تأتى التربية بما لها من دور حاسم فى حل هذا النزاع. وكلما كانت التربية أكثر تفهمًا لمشاكل الأطفال والتدرج معهم فى الفكر وتقويم السلوك الأخلاقى وغرس القيم الدينية وتنمية الضمير وإيقاظ العواطف

الطيبة والبعد عن كل مثيرات الخوف وإبعاد شبح التهور والاعتداءات، كلما أمكن التحكم فى العدوانية والسيطرة عليها بحيث تتلاشى فى أعماقه ولاتظهر فى تصرفاته ولايبدر منه أى عدوان. وكان شخصًا هادئ النفس منضبط السلوك.

من أجل ذلك كانت التربية الدينية للطفل منذ نشأته الأولى والسير معه فى تحقيق سلوكه عليها وضبط قيمه عليها كان ذلك أصلح للفتى، الأمر الذى يجعلنا نقول بأن: العدوانية من الغرائز التى فطر عليها الإنسان لكنها تنمحى طبقًا للتنشئة الاجتماعية والتربية الدينية والتهذيب الأخلاقى وظهور القدوة الحسنة أمام هذا النشء. ونأخذ هذا من توجيهات الإسلام.

فقد حث القرآن الكريم على اختيار الزوجة الطيبة الفاضلة الصالحة التى ستحمل الطفل فى أحشائها وأثناء حمله يتغذى من دمها فيتأثر بطبائعها النفسية، فإذا خرج إلى الوجود ورضع من ثديها تأثر بصفاتها الأخلاقية.

لكل هذه الأسباب حثنا الإسلام على اختيار الزوجة المتدينة العاقلة التى نشأت فى بيئة صالحة ثم نرى الرسول «ﷺ» وهو يحث المرأة «الأم» أن تكون قدوة لطفلها

فى كلامها وأفعالها لأن ما تقوله أو تفعله ينطبع فى ذهن طفلها ويقلدها فى حركاتها وأقوالها، لذلك قال للمرأة التى قالت لولدها:

تعال أعطك. فقال «ﷺ» لها: وماذا تعطيه؟

قالت: سأعطيه تمرة. ولو لم أفعل يارسول الله؟ قال «صلى الله عليه وسلم»: تكتب عليك كذبة.

هذا سلوك أراد الرسول «صلى الله عليه وسلم» من خلاله أن يكبت عوامل الكذب فى نفسية النشء فحث الأم أن تكون قدوة فى كلامها صادقة فيما تقوله.

ثم يأتى الدور العملى فيحثنا رسول الله «صلى الله عليه وسلم» على أن نعلم أولادنا الصلاة من سن سبع سنين ونضربهم على تركها لعشر سنين ونفرق بين الأولاد فى المضاجع.

كما جاء التوجيه للأب أن يكون قدوة فى سلوكه وأن يصطحب ولده معه إلى المسجد وأن يعلمه القرآن الكريم ويغرس فى أعماقه أن الله مطلع عليه يراه أينما كان وحيثما وجد.

ولعل أبرز دليل على ذلك هو ماحدث من أن أحد الملوك كان له ولدان يحب أحدهما أكثر من الآخر.. فعاتبته الأم على ذلك فقال لها سوف أريك ثم دعا الولدين وأعطى لكل واحد سكينًا ودجاجة حية وقال: ليذبح كل واحد منكما دجاجته فى مكان لايراه أحد ولاتطلع عليه عين فذهب أحدهما وجاء بالدجاجة مذبوحة والسكين يقطر دمًا.

والآخر جاء بالدجاجة فى يده حية وقد اصفر وجهه وامتقع واضطرب جسده. فسأله مالك؟ فقال أمرتنى أن أذبح الدجاجة فى مكان لايرانى فيه أحد ولاتطلع على فيه عين وكلما ذهبت إلى مكان رأيت الله معى ويرانى فخفت أن أكذب عليك أو أكذب على نفسى.

فربت الملك على كتف هذا الفتى وقال له: بارك الله فيك. هكذا يجب أن يكون الأبناء البررة.

إن التربية هى التى أسهمت فى تنمية الضمير لدى الابن وجعلته هادئ النفس مطمئن الخطى يشعر برقابة الله عليه ويحس بأنه معه. وجعل النفس الشريرة تختفى منه وتظهر النفس الطيبة المطمئنة.

لهـذا نقـول : إن العنـف فطرى فى الإنسـان لكن التـربيـة الدينيـة تهذبه والقـدوة الصـالحـة تؤثر فى كيـان الشـخص الآخر فتختفى معالم العنف من نفسه.

يقـابله فى الجـانب الآخـر النشء الذى هو كثيـر الحـركة يتصـرف قبل التفكيـر ونراه ينتقل بسـرعة من فكر إلى آخر مع عدم القدرة على تنظيم وقته والاستفادة مما حوله.

ولعل فى حـديث رسـول الله «صلى الله عليـه وسلم» مـايرشـدنا إلى اختيـار الزوجة لأن الجنين يأخذ منها وإذا خرج إلى الوجود قلدها. ففى قول الرسول «صلى الله عليه وسلم»: «تخيـروا لنطفكم فإن العـرق دساس» مـايرشدنا إلى ما نحن بصدده.

# أنواع العنف

إن العنف هو غريزة فطرية فى الإنسان يقوم بالسلوك والتهذيب أى أن يكون أمام النشء قدوة طيبة تتحلى بسعة الصدر والحلم والمروءة وفى الوقت نفسه لابد من منهج يدرس فى جميع مراحل التعليم عن أفضل سلوك للإنسان المتحضر وضبط قيمه الأخلاقية على قيم دينه وعرف مجتمعه وحتى لا يكون هناك شذوذ يتسم به الفرد. لكن الأمر الذى يلفت النظر أن العنف والصراع من الأشياء التى تجرى فى المجتمع ولها جذور عميقة وفكر ينتقل من شخص إلى مجموعة. ذلك لأن الإنسان شخص مستقل يحدد بنفسه القوانين التى يخضع لها... والمجتمع جماعة منظمة تطالب أعضاءها باحترام عدد معين من القواعد والقيم.. والنماذج الاجتماعية كلها التى يمكن ملاحظتها

تاريخيًا تبدو وكأنها وسط بين لعبة الحرية الفردية واحترام الأنظمة الجماعية.

وفى وسط الأشكال الممثلة للمجتمع والتى يخضع كل منها للآخر برزت النزعة فيها تارة إلى المزيد من الاستقلال الفردى ومرة أخرى إلى التشديد على توسيع سيطرة الكل على الجزء أو سيطرة الجزء على الكل، وكأن الإنسانية بذلك تسعى وراء توازن تبحث عنه باستمرار الأمر الذى يجعلنا نذكر أنه على صعيد الفكر الإنسانى فإن التيار الفوضوى الذى يتصف بالعنف ظهر على مدى التاريخ طورًا يطفو على السطح ومرة أخرى يختفى.

وقد يتبادر إلى الفكر أن النزاع فى جميع مراحل التاريخ كان أكثر عنفًا فى الجانب السياسى. فإن كثرة المجابهات التى تحرك نسيج الحياة اليومية تجعل البعض غير راض عما تقدمه السلطة السياسية، من هذا المنظور يمكننا أن نتساءل:

إن كان الدور الأول المعترف به للعنف أو أقله للإكراه الجسدى وتعليل السياسة يتفق وأكثر تفسيرات الواقع نفاذًا من أجل هذا نرى أن السلطة السياسية تحيط نفسها

بقوة مسلحة وجهاز أمن ووسائل ضغوط مادية وأدبية وإنه لمن الثابت أيضًا أن القوة والعنف كانا فى أصل العديد من أنظمة الحكم حتى لا يكون لأصحاب الهوى دخل فى السيطرة على القوة السياسية التى تقود المجتمع إلى شاطئ الأمان لأنه من المعلوم أن أصحاب الهوى عندما يتحكمون فى مقادير الناس فإنهم ينشرون الفزع والرعب والخوف بين الجماهير وكل ذلك يؤدى بالمجتمع إلى الانهيار والضياع ولأمر ما شرع الله القوانين التى تحكم المجتمع ووضع لها الضوابط حفاظًا على قوة المجتمع وازدهاره وحتى لا يكون هناك لعب بمقادير الناس.

كما أن الإنسان وهو كائن مستقل يحقق ذاته ضمن فئات اجتماعية وهو كشخص يعيش ضمن تلك الفئات فإنه يتحرك بنفس مشحونة بنزعات كامنة تفضى به أحيانًا إلى العنف لأن الحياة لا تهبه الشعور باكتمال تشبع رغباته ولا بتوازن تام بين تطلعاته الفردية وتأثره بالقيم الاجتماعية.

وأن هذا النزاع الذى فى نفس الإنسان نراه يخبو تارة ويطفو أخرى ولعل فى رد الفعل لرجل الشارع دليل واضح على ذلك. أفلا تزخر أحاديثنا فى كل زمان ومكان

بالشكوى بصورة أساسية تختلف من بيئة إلى بيئة ومن مجتمع إلى مجتمع فهناك قسوة الأغنياء وعدم العدالة فى الأوضاع الاجتماعية وتقلبات النظم الاقتصادية كما أن هناك الإلحاح اليومى للمطالب الشخصية..

وهناك وهناك وهناك... فى كل الاتجاهات للحياة اليومية والمطالب المختلفة من مسكن وكساء وغذاء وما شاكل ذلك.

وحتى عندما يعترف الإنسان بصحة هذا المبدأ أو صحة التصرف من قبل الأنظمة الحاكمة والقيادة السياسية الواعية فإن الشخص فى أعماقه يحس بشعور متفاوت قد يكون فى بعض التصرفات تقييد بغيض لرأيه أو قهر لحريته.. وإن الكثير من المجابهات التى يعتبرها الإنسان موجهة لسلوكه أو يعتبرها من مقومات المجتمع فإن هذا يحرك فيه قيمًا بلغت من الأصيل فيه ما يجعلها قادرة على استثارة أعنف الأهواء فيه الأمر الذى يجعل وضع الإنسان يميل إلى الناحية المأساوية للتضحية للدفاع عن بعض العقائد الصحيحة المتمكنة من أعماقه، ولعل فى قيام الحروب الدينية أو معارك التحرر الوطنى أو مكافحة الظلم أو مقاومة الاستبداد ما يبرهن على ما قلناه.

وإذا كان علم السياسة هو تلك المجموعة المنظمة من المعرفة التى ترمى إلى دراسة ظاهرة السلطة من الناحية الشكلية الرسمية والناحية الفعلية الواقعية وينشأ الصراع دائمًا فى هذا المجال من خلال مؤسسات يمكن أن تبدو لأول وهلة متناقضة مع طبيعة الكيان الحاكم بحيث نستطيع أن نقول عنه بأنه صراع مبادئ أساسية ترى الجماعة المنغلقة على نفسها التى ترسم الكيان لها للانقضاض على السلطة لتستطيع تحقيق أهدافها ونشر القيم التى تؤمن بها.

ولعل الأحزاب السياسية تشكل هذا النوع من حيث إعداد برامجها وتنظيم تخطيطها وإيجاد الكوادر المؤمنة بأهداف الحزب الذى تنتمى إليه حتى يمكن لها من خلال كل ذلك الوصول إلى ما تبتغيه.

ولعلنا نذكر «كارل ماركس» الذى جعل الظاهرة السياسية تعبيرًا عن القوى المادية فى الجماعة، كما أنه جعل الحركة السياسية وتطور الجماعة تعبيرًا عن صراع هذه القوى المادية فى صورة الصراع الطبقى.

من أجل ذلك أقام حكمه على أشلاء الضحايا دون مبرر الأمر الذى يجعلنا نعلن ونحن فى غاية الاطمئنان أن

العقيدة فى الإيمان بالله الواحد والاعتراف باليوم الآخر والشعور بمراقبة الله والإحساس بوجود الضمير كحارس دائم على الإنسان أن يتهور أو يقسو فى حكمه أو يظلم غيره أو يتحرك فى الظلام لأن المؤمن يعمل فى وضوح ويعلن رأيه بصراحة ويعمل لصالح المجتمع وخير البشرية فشعاره كما يقول الحق:

﴿ الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴾ (١).

والحياة السياسية لا تعدو أن تكون مجموعة متتالية من المواقف وكل موقف مخالف يفرض نفسه على السلطة التى تمارس أعمال السيادة ينبغى إنهاءه والتخلص مما يستتر خلفه من صراع وأن تضع حدًا لحمالة التوتر التى فرضها هذا الموقف الأمر الذى يجعل القرار السياسى ينبع ويتحدد طبقًا لما تمليه المصلحة العامة كما أنه مقدمة لتطور سياسى آخر لأن القرار السياسى هو جزئية لأداة من أدوات تحقيق التوازن إزاء المتغيرات التى تفرض نوعًا من التوتر وإخلال التوازن بين أجزاء الجسد السياسى.

---

(١) الآية ٤١ من سورة الحج

# العنف الاقتصادى

وإذا تعرضنا بالذكر للناحية السياسية داخل الدولة فإنه لا يغيب عن بالنا الموقف الدولى الذى نرى أن الدولة القوية تفرض سيطرتها على الدول الضعيفة طبقًا لمصالحها كما أن بعض الدول التى تستعمر دولاً أخرى تحاول تذويب شخصية أفراد تلك الدولة وإماتة عواطفهم الوطنية الأمر الذى يجعل هذه الدولة المستغلة المستعبدة المستذلة المفروض عليها الحكم بقوة الحديد والنار يستيقظ أفرادها ويهبون لتشكيل مجموعات قوية من المواطنين يطلق عليهم «الفدائيون» مهمتهم فى المقام الأول تحرير وطنهم وإيقاظ الشعور الوطنى فى أبناء جلدتهم وتحديد ملامح بارزة لتلك الظاهرة التى تنفض عن نفسها غبار الذلة والهوان كما أنها تعمل على تحديد الغاية التى من أجلها يعملون.

وبهذا يأخذ الإرهاب الدولى القوة من هذا الظلم الواقع على تلك الشعوب والتى تريد لنفسها كيانًا مستقلاً. وهنا يحلو لبعض المستعمرين أن يصف هؤلاء الإرهابيين وكان من الأولى أن تطلق هذا الصفح على الدول الكبرى التى تنشئ قوة ضاربة وسريعة لمعاقبة الدول التى تريد أن يكون لها كيان مستقل.

ولعلنا نذكر الهيمنة على الشرق الأوسط واستغلال موارده واستنزاف خيراته لمصالح الدول الأخرى فإن الزراعة كانت تزرع فى بلاد الشرق الأوسط ثم تصدر إلى الدول العظمى بينما شعوب الشرق الأوسط ثم تصدر إلى الدول العظمى بينما شعوب الشرق الأوسط تئن من الجوع وتشكو المرض وقد انتشر الجهل بين أبنائها وهذا ما سمى بالعامود المثلث... الفقر والجهل والمرض...

ولقد استطاعت تلك الدول العظمى أن تكسب شخصيات من تلك الدول أغدقت عليها الخير وأكسبتها المهابة بإحلالها على كراسى الحكم والتصرف فى زمام الأمور.

فلما أراد العقلاء من أبناء الشرق الأوسط واستغلال مواده واستنزاف خيراته لمصالح الدول الأخرى، فإن

الزراعة كانت تزرع فى بلاد الشرق الأوسط ثم تصدر إلى الدول العظمى بينما شعوب الشرق الأوسط تئن من الجوع وتشكو المرض وقد انتشر الجهل بين أبنائها وهذا ما سمى بالعامود المثلث... الفقر والجهل والمرض...

فلما أراد العقلاء من أبناء الشرق الأوسط تحرير أوطانهم وتخليص مجتمعاتهم من هذا الذل والعار وصموا بأنهم إرهابيون «ويا ليت هؤلاء الناس يعقلون لقالوا على أنفسهم بأنهم هم الإرهابيون» ثم نرى أنه عندما تقلص ظل تلك الدول العظمى من خريطة الشرق الأوسط زرعوا إسرائيل لتصبح قوة عظمى وتناوئ وتفعل ما يحلو لها دون وازع من ضمير.

كما أنه ينفق الآن على صنع السلاح لتدمير الدول بعضها ببعض أكثر مما ينفق على إطعام البطون الجائعة وصنع رغيف الخبز والذى ينظر إلى خريطة العالم الآن ويرى هذه الحضارة التى يصيبها الدمار فى لحظة بعد أن عشش فى جنباتها الشر وانتشر وعم، وقد انهارت الحضارة على رءوس من بناها نتيجة السيطرة والطمع والخداع والمراوغة وكأن الحضارة تهدم نفسها بنفسها نتيجة

الصـــراع العـسكرى والتطرف الفكرى والجنوح فى العنف وعدم المجابهة بالعقل والحكمة.

إننا نرى الآن أشلاء الضحايا وبرك الدماء ودوى المدافع والقنابل يهـدد الآمنين ويروع المسـالمين وكـرد فـعل لذلك هناك المجاعات والفرد الذى يلقى حتفه لأنه لا يجد شربة ماء ولا كسرة خبز ولا كساء لجسده العارى النحيف.

وإذا كـان التطرف الدولى قـد نجح إلى هذا الحــد من المسـتوى اللا أخـلاقى فـهل آن الآون لهـيئـة الأمم المتحـدة ومنظمـاتها أن تدعو إلى عـام السلام وأن يكون لها خـريطة تحدد عليها الدول المظلومة لترد الظلم عنها والدول الظالمة لتأخذ على يديها العنف وتوقفها عند حدها أخذًا من قول رسولنا الكريم ﷺ:

«انصـر أخـاك ظالمًا أو مظلومًـا. قـالوا ننصـره مظلومًـا يا رسـول الله فكيف ننصـره ظالمًا؟ قـال رسـول الله ﷺ: تـأخـذ على يديه فتمنعه عن ظلمه فذلك نصره.

إن التـقـسـيم الدولى للعـمل يرغم بلدًا فـقـيـرًا على ألا يصـدر إلا بعـض المنتجـات وأحيـانًا يُقلِّم أظافـر تلك الدولة فـيرغمهـا على عدم التصـدير لأن الدولة المسـتعـمـرة تنظم

الأسواق وفق حاجاتها إلى المواد الأولية.. انظر مثلاً إلى جزيرة كوبا الصغيرة. كانت تجد فى مزارع القصب مصدر ثروتها الوحيد وقد أصبحت المصدر الثانى للسكر فى العالم وكانت الولايات المتحدة هى التى تشترى إنتاج كوبا وفى عام ١٩٦٠ وضعت حدًا لصفقاتها معها وأثر ذلك على الإنتاج الذى أثر بالتالى على سكان هذا البلد مما عرض أربعة ملايين كوبى للمجاعة.. وها هى الجزائر كانت تزرع العنب وتصدره إلى فرنسا التى تخصصت فى إنتاج الخمور من كروم الجزائر.

وما لنا نذهب بعيدًا والبترول اليوم تتحكم فى أسعاره الدول الاستعمارية التى تريد أن ترد الضربة إلى العرب جزاء انتصارهم على إسرائيل عام ١٩٧٣.

وها هى الأسعار تتناقص يومًا بعد يوم. فالدول الاستعمارية إذًا لا تبحث إلا عن مصلحتها والعائد إليها من خير المجتمعات الأخرى، بل إن بعض الدول تضحى بكل أصدقائها نظرًا لمصلحتها الشخصية مهما كانت قيمتها.

ولعلنا نذكر صفقة الأسلحة الأمريكية إلى إيران رغم ما قيل عن إيران بأنها دولة الإرهاب الذى تصدره إلى العالم.

من أجل ذلك تصدرت أمريكا قائمة الدول التى أخذت على نفسها العهد ألا تصدر أى سلاح إلى إيران.

ولعلنا نذكر أن الدول العربية المحالفة لإيران تعلن سرًا وجهرًا أنها لن تتعامل مع إسرائيل وحليفتها أمريكا بينما هم يعلمون بتلك الصفقات المدمرة لقطر عربى وشعب إسلامى.

أين المبادئ إذًا ؟. إنها مبادئ المصلحة والمنفعة اللذين يعودان نفعًا على البلد التى تمسك بزمام الأمر وتسوس المجتمعات طبقًا لمصلحتها هى.

إن الصراع العالمى إذًا يأخذ كل التطرف والعنف طبقًا لما تمليه المصلحة ولقد بات فى علم الجميع أن المساعدة المقدمة للبلدان النامية تشكل واقعًا لا يخلو من التباس، فإن كل بلد متقدم يمنح مساعدتها.. يسعى فى الواقع وراء استراتيجية ذات أهداف غالبًا ما تكون بعيدة كل البعد عن الإنماء.

لو كانت طلبات المساعدة ترتكز على اعتبارات اقتصادية فقط لكان الخير كل الخير للمجتمع العالمى لكن مثل هذه الطلبات التى تتقدم بها البلدان النامية لا تحظى ببعض

فرص النجاح لأنها تتصل باعتبارات ذات فكر معين والبلدان النامية هى إلى حد ما شارات فى ميدان سياسة القوى وأن العامل الوحيد الذى قد يستطيع أن نقتنع بالأخذ ببرنامجه من المساعدة الاقتصادية للبلدان النامية هو يقيننا بأن صداقة هذه البلدان وتحالفها مع بعضها ينطويان على قيمة استراتيجية كسياسة عدم الانحياز ونفسية المواطنين فى الحرب والسلم ومدى الترابط بين الآخذ والمعطى.

وإن الناظر إلى واقع المجتمعات ـ ويقوم بتحليل ما يجرى على المناخ العام والخاص ـ يرى أن المصلحة هى التى تقود المجتمعات بغض النظر عن أية قيمة أخرى ولقد كان الأولى أن تكون هناك نظرة تعاونية فى سبيل تحقيق الصالح العام الذى يحقق الأمن والسلام للمجتمعات.. لكن لما كانت المصلحة هى الدافع رأينا التطرف والجنوح من بعض الأفراد ضد تلك الدولة وسياستها القهرية واعتدائها الغاشم. وهؤلاء الأفراد الذين تطرفوا واتخذوا العنف سلاحًا لهم لا يبالون بمن يقع ضحية فى أيديهم. هل هو راض عن سياسة دولته أم كاره. وهل هو مؤيد أم معارض..

المهم.. إن هؤلاء الأفراد فى استعمالهم العنف لابد أن موجة من الذعر تسيطر على العالم بأسره خاصة وأن ما يجرى فى أى بلد تطيره وكالات الأنباء فى التو والساعة الأمر الذى يجعل سكان الأرض جميعًا يعيشون ساعة وقوع الحدث وكأنهم يشاهدونه رؤية عين.

وإذا ما عرفنا أن الإرهاب الدولى بلغ ذروته عام ١٩٨٣ وما تلاها حيث سجلت فى ذلك العام عمليات إرهابية بلغت ٧٩٤ عملية. كما وصل استخدام المفرقعات وزرع المتفجرات فى ذلك العام أكبر نسبة حيث وصلت ٤٢٪ وبلغ عدد ضحايا الإرهاب من عام ١٩٧٣م حتى عام ١٩٨٢ حوالى ٣٥٠٠ قتيل. وكان الدبلوماسيون هم الهدف الأول للعمليات الإرهابية انتقامًا من دولهم وأخذًا للثأر نتيجة ما رسموه وخططوه وأرسلوا به إلى دولهم فى حقائبهم الدبلوماسية.

ولعلنا نذكر كذلك ولا يغيب عن بالنا أن إسرائيل قامت بضرب المفاعل الذرى بالعراق أتبعتها بغارة ضد تونس. كذلك خطف السفينة الإيطالية تبع ذلك الطائرة المصرية والمظاهرة العسكرية الأمريكية ضد ليبيا.

وعندما نحلل كل ذلك نرى أن مرحلة الثمانينيات شهد الإرهاب فيها تحولاً خطيرًا وأصبح الإرهاب تمارسه مخابرات بعض الدول الكبرى وتحول الإرهاب إلى تكتيك قد يصل إلى الحد الانتحارى.

كل ذلك مقصود به هز الضمير العالمى ليتنبه وأن يكون هناك تحالف بين الدول - يقوم على أسس من العدالة والأخلاق الكريمة والمبادئ الفاضلة لأنه من المعلوم أن من حفر حفرة لأخيه وقع فيها.

وإذا كانت لبنان الآن تقصف المدافع الثقيلة فيها قرى بأكملها واستمرت المتفجرات الشديدة داخل مقار القيادات ولم يتوقف القناصة عن القنص.. ثم عندما قام بوليس فيلادلفيا - بأوامر من عمدة المدينة بإسقاط قنابل شديدة الانفجار من طائرة هيلوكوبتر على منازل بعض جماعات من الزنوج المتطرفين.

وقد دمرت المنازل وأصيبت بحريق هائل كذلك ما حدث من رئيس الفلبين عندما قام بالتصفية الجسدية ضد معارضيه.

ثم نرى أن تلك التصفيات قد انتهت بنهايات مؤلمة لشخصيات سياسية لعل فى أولهم أنور السادات وأنديرا غاندى، ورشيد كرامى الذى اغتيل مؤخرًا بلبنان.

وإلى ماذا يشير كل ذلك. إنه يشير إلى موجة من العنف تأسست فى أفكار بعض المتطرفين وعشش فى خيالهم التصفية الجسدية بدلا من المحاورة الفكرية.

ولعلنا نذكر أن المرحوم الدكتور/ محمد الذهبى دعا إلى اللقاء الفكرى المفتوح كما أنه سفه آراء هؤلاء الأفراد الذين تطرفوا بالعنف فكان جزاؤهم ما كان.

وإذا كنا نذكر المحاورة الفكرية فإننا نذكر مصطفى كامل وسعد زغلول وغير هؤلاء من الذين أسهموا فى نشر القضية التى تمثل الظلم من الدول المستعمرة ضد الدول المغلوبة على أمرها.

ومن هنا يتبين لنا نتيجة الصراع الدولى ونهايته المؤلمة الأمر الذى يدعو أن يكون هناك عقلاء ينظرون إلى القضايا المتعلقة بالظلم ويعملون على حلها بروح العدل. وقد كنا نسمع عن محكمة العدل الدولية لكن صوتها لم يسمع لأن من أجلس قضاتها على مقاعدهم هم تلك الدول

العظمى الغنية التى ساعدت على زرع دول غريبة فى جسد وطن لا يقبل مثلها لأن انتماءها الفكرى خاضع لتلك الدول المستعمرة صانعة البارود ومصدرة القنابل لقتل الأبرياء ولإجراء تجاربها على قوة سلاحها المصنوع.

فيا قضاة الحق. ويا رجال العدل ويا علماء العالم. آن الأوان أن ترفعوا أصواتكم ليكون عام السلام هو الذى يسيطر على الإنسانية سياجه الحق ولحمته العدل وهدفه حقن الدماء. والارتقاء بالبشرية.

# العنف الفكرى

إن ثقافة أى مجتمع تقوم بوظيفة تكامل بين الجميع فهى تنزع إلى تلاؤم سلوك أعضائه مع النموذج الذى يحددها هذا التكامل الفكرى وقد يمارس ضغطًا ما يقبله الفرد كأمر طبيعى ولكنه قد يتحسسه أيضًا فيحدث لديه ردود أفعال وإن ضغط القوانين الاقتصادية يشكل مثالاً مفيدًا على تلك الظاهرة.

فالثقافة عنصر مهم خاصة إذا ألمت بالعلوم الدينية والإنسانية فإن ذلك يفيد الشخص لأكثر من سبب لأنه من المعلوم أن الحضارات ليست بخالدة وأن النماذج الثقافية تتعاقب فى مجتمع ما وفق إيقاع على شىء قليل أو كثير من السرعة وإن الفترة الانتقالية تقلب الأنماط المألوفة

لتكامل الأفراد؛ لذا كانت ترافق هذه الحضارات ظواهر غليان واضطراب.

وقد يكون العنف مظهرًا لها. إن الشيء الذى لا يختلف فيه اثنان هو أن الثقافة إذا قامت على أصول وأسس يتداولها الأفراد ويتفهمون أبعاد النظريات التى أمامهم وصولاً إلى الحقيقة وارتفاعًا بالعلم خدمة للإنسانية وحلاً لمشاكلها إذا كان كل شخص يؤدى دوره فإن التلاؤم بانسجام سيكون بين المجموع.

لكن الشيء المحزن المؤسف هو ما نراه من ميول البعض إلى قطع العلوم الدينية عن تطور الحضارة ونبذها وراء ظهورهم ويسمون أنفسهم بالعلمانيين بينما هم يتيهون فى تعريف تلك الكلمة التى لم تصل بالمجتمعات التى احتضنتها إلى شاطئ الأمان والعكس صحيح. فإن الذين اتخذوا العلوم الدينية دفع بهم هذا الإيمان إلى أن يتخذوا العلم بكل وسائله وفروعه وجزيئاته مطية لهم لذلك وصلت مجتمعاتهم إلى بر السلامة والأمان.

من هنا يحدث التصادم والتلاحم بين الفريقين لأن العلمانيين يريدون بتر المعرفة ومعهم كلمة العلم من واقع الحياة.

فالعالم الذى يقوم فى معمله بأداء مهمة جليلة لابد له أن يتسلح بالخلق والإيمان بالله والاعتراف بحقوق الآخرين فإذا خلت تلك النظرية من نفسه فإن علمه سيكون وبالاً على المجتمعات وبسبب ذلك صنعت القنبلة الذرية والنووية والهيدروچينية ودمرت بها بلاد وسفكت بها دماء وقوضت حضارات لأن صانعها لم يكن لديه إيمان بالله ولا اعتراف بحقوق الآخرين.

ومن هنا ينشأ الصراع بين الفريقين والتطرف لأن كل واحد يميل إلى طرف لا يلتقى مع آخر لكن الحقيقة هى أن عالم الدين يبسط يده إلى دارس العلوم الإنسانية الحيوية فى مودة وحب لأن الدين يفرض عليه أن يعمل لدنياه كما يعمل لآخرته وأن يعيش تطور المجتمعات ويحيا فى مختلف الظروف والبيئات شعاره قول الحق سبحانه:

﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِى أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِى الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾[1] وكما جاء فى الأثر:

---

(١) الآية ٣٢ من سورة الأعراف.

«اعمل لدنياك كأنك تعيش أبدا واعمل لآخرتك كأنك تموت غدا».

ولما كان العلم هو توسيع لمدارك الإنسان وتثقيف لذهنه ونافذة يطل منها على العالم ماضيه وحاضره فإن الواجب عليه أن يناقش ويحاور ليصل إلى الحقيقة التى قامت عليها كل المعارف وهى أن العلم ملك للإنسانية لا فرق بين علوم الدين أو علوم الدنيا بل هما سواء لأنهما يخدمان قاعدة واحدة هى صالح الإنسان فى عاجله وآجله وإذا كنا نرى العنف يشتد بين المفكرين وما نلحظه من تهجم قاس على بعض المفكرين والمثقفين فإن الإسلام لا يقر هذا الهجوم الذى يصل فى بعض الأحايين إلى التجريح والتشهير وإنما نقول لكل فريق:

﴿ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللَّهَ وَلا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ ﴾[1].

لأن غرضنا جميعًا هو السمو الروحى للإنسان والسعادة الجسدية له من خلال قيم دينية ترسبت فى وجدان

---

(١) الآية ٦٤ من سورة آل عمران.

الشخص وعادات اجتماعية سار عليها الأولون وهى أن الصغير يحترم الكبير الذى بدوره يعطف على الصغير ونلاحظ أن هناك سمة مشتركة من المودة قائمة بين الناس أساسها أن يحب الإنسان للناس ما يحبه لنفسه.

والعلم بطبيعته يفرض على معتنقيه أن يكونوا نماذج طيبة وعناصر صالحة وقدوة طيبة للجماهير.. لكننا نلحظ أن عالم العلوم الذى يقطع صلته بالدين ويحصر نفسه فى دائرة العلمانيين، فإنه يقطع نفسه عن مصدر الخير ويعزل نفسه عن مصدر الإشعاع الروحى الذى يفيض على قلبه كل خير وسعادة.

ولأجل ذلك قال الحق سبحانه وتعالى لحبيبه ومصطفاه: ﴿ وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا ﴾[1].

وقال سبحانه فى أول آية نزلت من القرآن الكريم:

﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِى خَلَقَ (١) خَلَقَ الإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ (٢) اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ (٣) الَّذِى عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (٤) عَلَّمَ الإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾[2].

---

(١) الآية ١١٤ من سورة طه.

(٢) الآيات ١ ـ ٥ من سورة العلق.

فالإنسان الذكى اللبيب هو الذى يقرأ باسم الله وفى سبيل الله وعلى بركة الله وأن يكون هدفه صالح الإنسانية وسعادة البشرية. يعمل على تنمية فكرها وتوجيه قدراتها إلى كل خير وتهذيب سلوكها وتدعيم صلتها بالله رب العالمين، ولقد سعدت الإنسانية فى ظل التعاليم الدينية التى تدعو إلى العلم بكل ما فيه. زراعة، صناعة، تجارة، طب، بيطرة، بحار، جبال، فلك، چيولوچيا، أخلاق، فلسفة، لغات حية، لهجات بيئية.. المهم.

إن الإسلام يدعو أتباعه إلى أن يتعلموا العلم.. أجهزة أمن على أحدث ما وصلت إليه النظم وصناعة بارود على أعلى ما وصلت إليه الأفكار.. طيران وغواصات صواريخ وقاذفات. مراكب تدور حول الفضاء تستكشف الشهب وترسو على القمر أو الزهراء.

فالإسلام لا يحجر على العقل لكنه يقول: اجعل علمك لصالح الإنسانية لكن العلمانيين نرى أن دعوتهم للعلم تدعو إلى صنع البارود وتقوم بالتجربة فى أفراد من البشر. تدعو إلى أجهزة أمن وتتخذ ذلك سلاحًا لترويع الآمنين تنشر الفكر الخبيث وتكتب القصص الخليعة

وتجعل عطاء عقلها لهدم ما أنتجته يد البشر على مر السنين.. من أجل ذلك يدب الخلاف دائمًا بين العلمانيين والعلماء ونراه يزداد حدة فى بعض الأحايين وفى البعض الآخر يتخذ العنف وسيلة لنشر أفكاره وتعميم رأيه من أجل ذلك يبسط الإسلام يده ويقول للبشرية كلها أن ساحتى نظيفة ووسائلى طاهرة وغايتى طيبة والعمل من خلالى شرف وسعادة فتعالوا إلى مائدتى فإن لى منهجًا وقدوة.

أما منهجى فهو القرآن الكريم. كتاب جمع وحوى وصدق الله العظيم.

﴿ مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ ﴾(١).

من قال به صدق ومن حكم به عدل ومن دعا إليه هدى إلى صراط مستقيم. وأما القدوة فهو نبى أمى جمع كل خصال الكمال وما من فن إلا وله فيه رأى وما من قول له إلا وعليه أنوار الوحى يغترف من فيض علمه كل العلماء فى كل الاتجاهات السياسية والاقتصادية والاجتماعية وما زال فكره ينبض بالعطاء. فإلى هذين المصدرين يا أيها العلماء حتى تريحوا وتستريحوا.

---

(١) الآية ٣٨ من سورة الأنعام

# الإعلام وأثره فى التطرف والعنف

إذا كان التطرف فطريًا فى الإنسان لكن التعليم يهذبه ويقومه فإن أخطر شىء فى حياة الناس أجهزة الإعلام لأنها سلاح ذو حدين:

(أ) قد يسمو الإعلام بالإنسان ويرقى به فى مصاف الأخيار الأطهار.

(ب) قد يصل الإعلام بالناس إلى درجة الانحطاط والفوضى والتطرف والعنف إزاء ذلك لابد أن ننظر إلى مؤسسات الإعلام على أن دورها خطير ومهمتها عظيمة ورسالتها كبيرة ومؤسسات الإعلام هى: -

١ - دور العبادة: المسجد.. الكنيسة.

٢ - دور العلم: بكل مؤسساتها.

٣ ـ الكلمة المكتوبة بأية وسيلة سواء كانت جريدة أو مجلة أو كتاب.

٤ ـ الإذاعة المسموعة وما يستتبعها من تمثيليات وأغانٍ وندوات ثقافية.

٥ ـ الإذاعة المرئية سواء كانت تيلفزيون أو سينما أو فيديو.

ويدخل فى كل ذلك المسرح وقصور الثقافة والأندية.

ونظرة تحليلية إلى كل تلك المؤسسات يبرز أمامنا دورها الخطير والمهام الملقاة على عاتقها ومن المعلوم أن هذه الوسائل كلها تخاطب الجماهير الواعية وغير الواعية وتخاطب مراحل العمر. الطفولة الشباب والرجولة والكهولة. الذكورة والأنوثة.

فلابد إذًا أن يكون عند المشرفين على تلك الأجهزة علم بخطورة دورهم وما يقدمون لأنه قد تكون هناك أغنية تدعو إلى العنف فيقلدها بعض الذين لا يدركون المسئولية ثم يعاقبهم الآباء ويكون رد الفعل أصعب من تقويمه وقد يكون هناك مشهد فى التلفزيون يأتى فجأة لا يشعر به الرقيب فيراه الأطفال فيقلدونه وعندئذ تقع الطامة الكبرى كما رأينا فى تقليد فرافيرو العجيب أو ما قرأناه

من أن تلميذًا فتح بطن شقيقته بالسكين وعندما سئل أمام المحقق قال لم أكن أقصد قتلها وإنما كنت أفعل معها كما فعل بطل الفيلم مع بطلته.

وأفلام رعاة البقر ومصارعة الثيران وما يستتبع ذلك من إراقة الدماء أو إبراز شخصية بطل الفيلم بأنه يسرق الملاعق والشوك من جميع المحلات وهكذا كل هذه المناظر كان يجب مراعاتها حتى لا يكون هناك تأثير للعنف على نفوس فتياننا وشبابنا.

والصحافة وما أدراك عندما تنشر تفاصيل قصة مثيرة وهى تفرد لها صفحة أو صفحتين تتحدث عن الأساليب والوسائل وتشرح باستفاضة كيف هجم اللص على ضحيته والأموال التى أخذها وكيف صرفها وهى تلح على ذهن القارئ ليقرأ ما بين السطور ويضع بنفسه النقط فوق الحروف وكلها أشياء تشد فكره وخيوط تؤدى به إلى عالم مجهول يتمنى هو بنفسه أن يعيش فيه ليحقق بذلك ما يحلم به ويتراءى فى خياله.

وإذا كنا نقول بأن المسرح ودوره خطير هو الآخر لأن المشاهدين الذين يبكون عند بعض المواقف الدرامية

ويضحكون عند بعض المواقف الكوميدية أو بين هذا وذاك تأتى المواقف التراجيدية فإن شيئًا ما يعتمل فى نفوسهم عند بعض المواقف يتأثرون به وينطبع فى أذهانهم ويختلط بأحاسيسهم ومشاعرهم ومن خلال بعض تلك المواقف يتصرفون الأمر الذى يجعلنا نقول: لابد أن يكون هناك دقة فى اختيار اللفظ وأداء التعبير.

وإذا ما تركنا ذلك ووقفنا أمام دور العبادة خاشعين فإننا نلحظ أن كل داخل إلى هذا المكان الطاهر يخلع عن نفسه رداءه الحزبى أو مذهبه الفكرى أو اتجاهه الأخلاقى ويدخل بنفس مؤمنة تربط نفسها بخالق القوى والقدر. وتندمج مع الجميع فى حب وتآلف وإخاء وتنساب الكلمات من فم الواعظ فتتأثر بها النفوس التى تهيأت لتقبل ما يقال. لأنها فى حالة شفافية روح وإرهاف حس لو أن هذه الأجهزة وجدت الجيل الذى تربى فى أحضان المدرسة متنقلاً بينها وبين الجامعة متصفحًا فى كتب المناهج وما بها من مواد علمية أو دينية أو اجتماعية أو ثقافية ووجد الكلمة المهذبة والأستاذ القدوة الذى يؤثر فى تلاميذه وطلاب معارفه بفعله قبل قوله.

عندئذ نستطيع أن نقول بأن المناخ طيب ولا مجال للصراع الفكرى ولا التطرف العقائدى ولا العنف الذى يؤدى أحيانًا إلى التهجم على المعلم وقادة الفكر ورجال الأعمال.

إننا نريد أن نكون صرحاء مع أنفسنا فى أن المؤسسات الإعلامية فى حاجة إلى مراجعة دورها وتقييم أعمالها وقياس الرأى العام لمعرفة ما يجب أن يقال وما لا يجب وأن يكون هناك دور لرجال الأخلاق والاجتماع وعلماء الدين ليتمكنوا من نشر آرائهم وطرح أفكارهم خاصة عند التحدث عن جريمة ما أو إلقاء الضوء على بعض القيم المنحرفة ويبرز هنا رأى عالم الأخلاق كيف عالج هذه المشكلة من منظور الإسلام والقيم الأخلاقية العالية.

إن العنف والصراع والتطرف. كل هذه الأشياء لم تظهر إلا فى بيئة فاسدة ومناخ عفن عشش فى جنباته ظلم أو جهل وكلاهما خطير على الأمة وكيانها ولأمر ما حث الرسول «ﷺ» على محاربة الجهل ونشر العدل والمساواة بين الأبناء حتى فى القبل والإحسان إلى الجار وصلة الرحم.

بل إن الرسول «ﷺ» حث الجار أنه إذا اشترى فاكهة أن يدخل بها سرًا إلى أولاده ولا يخرج أولاده بها فى الصباح حتى لا يرى ذلك أولاد الجيران لأنه ربما لا يكون فى مقدورهم شراء مثل هذه الأشياء فيحقدون على جارهم.

لذلك حارب الإسلام الحقد من أول تكوينه ووضع مكانه ثمرة الحب والإخاء والتعاطف.

إننا نتوجه إلى أرباب الأقلام على كافة المستويات ونقول لهم رفقًا بالجماهير وحفاظًا على ثروة الأمة لأن هذه الثروة هى مجموعة الشباب الذين هم نصف الأمة اليوم وكلها غدًا وهم حملة أعلام الحق.

إن تربوا على أيديكم بالكلمة الهادية والرأى المستنير والهدف الواضح كانوا خير خلف لخير سلف وإن كان الأمر غير ذلك فأقم على الأمة مأتمًا وعويلاً.

إن وسائل الإعلام هى النافذة التى تطل منها جنبات المجتمع الإنسانى بأسره وجدير بها أن تضىء طريق الخير وتزرع فى قلوبنا الأمل وتتقى الله فيما تقدمه إلينا من معلومات. بذلك يخفت صوت الجريمة ويقضى على العنف ولا يكون هناك مجال للتطرف الفكرى الذى يؤدى إلى

الحقد والكراهية.. لقد قيل إن شاعرًا قال بيتًا من الشعر فى عهد عمر بن الخطاب وقصد به إهانة إنسان.. والبيت هو:

دع المكارم لا ترحل لبغيتها

واقعد فإنك أنت الطاعم الكاسى

وأراد عمر بن الخطاب أن يقطع لسان الشاعر حتى لا يذم الناس بعد ذلك ويكون سببًا فى إثارة الحقد الذى يؤدى إلى العنف وقال الشاعر لعمر:

لن أعود لمثل ذلك مستقبلاً.

ومن هنا يتبين لنا خطورة الكلمة التى تقال أو تكتب أو تمثل. ولقد أخبرنا الرسول «ﷺ» فى حديث ما معناه أن الرجل يتكلم الكلمة يضحك لها الناس يهوى بها فى جهنم سبعين خريفًا.

كما أن أحد الصحابة سأله: وهل نحاسب بما نتكلم به يا رسول الله. قال ﷺ: ثكلتك أمك: وهل يكب الناس على مناخيرهم فى النار إلا حصائد ألسنتهم.

ومن المعلوم أن حد شرب الخمر أربعون جلدة لكن عمر ابن الخطاب رضى الله عنه زادها إلى ثمانين فى عهد

الصحابة وعلى جمع منهم ولم ينكر عليه أحد لأنه لما سئل قال: لأنه إذا شرب سكر وإذا سكر هذى وإذا هذى افترى.. والافتراء معناه أنه يعتدى على الناس بالكلمات الجارحة والفحش، ففى اللفظ والبذاءة فى التعبير وكل هذه الأشياء تؤدى إلى مظاهر الحقد والعنف والتطرف.

ولأمر ما قال الله تبارك وتعالى:

﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ (٢٤) تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ (٢٥) وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ الأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ﴾[١].

وقال تعالى:

﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾[٢].

وقال سبحانه:

﴿لا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلاَّ مَن ظُلِمَ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا﴾[٣].

---

(١) الآيات ٢٤ - ٢٦ من سورة إبراهيم.

(٢) الآية ٨٣ من سورة البقرة.

(٣) الآية ١٤٨ من سورة النساء.

وقال سبحانه:

﴿وَلا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾(٢).

وبتلك التوجيهات الإلهية يتبين لنا فضل الكلمة الطيبة التى تصل إلى المسامع فتؤثر فى القلوب وتوجد الحب فى النفوس لأنها عظيمة كقائلها، من هنا وجب علينا أن نهتم بهذا الموضوع وأن نوجه الناس إلى أن يقولوا خيرًا ولا يلمزوا أنفسهم لأنه كما يقول الرسول «ﷺ» «المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يحقره».

وإذا كان الرسول «ﷺ» يقول: من ستر مسلمًا ستره الله فإننا نأخذ من هذا الحديث أن من فضح مسلمًا فضحه الله ومن تعرض بالغمز واللمز على مسلم أحال الله عليه من يقتص منه لأنه «دقة بدقة» كما قيل إذا كان بيتك من زجاج فلا ترم بيوت الآخرين بالطوب. وإذا كان لك لسان فللناس ألسن.

---

(٢) الآية ٣٤ من سورة فصلت.

وإذا كان فى الناس عيوب فأنت مثلهم. فعلينا إذًا أن نقف بشدة فى وجه من يشهر بالناس ويفترى عليهم.

ونحن هنا لا نصادر حرية الصحفى أو الكاتب ولكن نقول:

إن أى خبر يحتمل الصدق والكذب. والشخص الناجح الذى يتقى الله ويحافظ على نفسه هو الذى يحمل الخبر بين يديه ويذهب إلى صاحبه يستوضح الأمر فإن وجد تكتمًا وتعتيمًا، فعليه أن يلمح بما فى ذهنه ولا يشهر ولا يهتك الأعراض ويفضح المستور، وإن استبان له الأمر فعليه أن يقول هذا وذاك ويعلق بما يضمن به من نجاح هدفه وحسن ظنه.

إن وسائل الإعلام دورها خطير ونحن لا نحجر على العقول ولا نريد ذلك أبدًا لكن إذا كانت لك حرية فى القول فاحترم كرامة الآخرين وكن على حذر من الله الذى لن يتخلى عن عباده المؤمنين فقد قال سبحانه:

﴿إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا﴾[1].

---

(1) الآية ٣٨ من سورة الحج.

وكما جاء فى الحديث: اتق دعوة المظلوم فليس بينها وبين الله حجاب يرفعها الله فوق غمام السماء ويقول: «لأنصرنك ولو بعد حين».

# أنواع العنف فى المجتمع الإنسانى

لقد شهد المجتمع الإنسانى أنواعًا من العنف كان له رد فعل على الساحة الإنسانية ونحن نقف أمام بعض تلك الحالات لتكون العبرة أمام أعيننا واضحة جلية:

١ـ قيل قديمًا «فتش عن المرأة» أى أن أية مصيبة تقع يكون وراءها امرأة وهذا هو ما حدث فى أول جريمة وقعت على ظهر الأرض يوم أن كان عدد الإنسانية لا يزيد عن العشرين.

ذلك أن آدم عليه السلام وحواء عندما هبطا إلى الأرض وتم بينهما اللقاء الجنسى وبدأت حواء فى الحمل كانت تلد فى المرة الواحدة ذكرًا وأنثى وكان من رحمة الله وتوفيقه أن أمر آدم أن يزوج ولدًا من الحمل الأول لبنت من الحمل الثانى والعكس وهكذا.

فكان لآدم ولدان «قابيل وهابيل» وأراد آدم أن يزوج أخت قابيل لهابيل. ولكن تلك الفتاة كانت على جانب كبير من الجمال وأراد قابيل أن يستأثر بها لنفسه ولما كان هذا العمل غير متفق مع الأمر الإلهى الذى عصاه قابيل قال آدم لولديه: قرب قربانًا ومن يتقبل قربانه يفز بهذه الفتاة وقد تقبل الله قربان هابيل. وعلى الفور هاج الدم فى عروق قابيل وانتابته لوثة من العنف الجنونى فصاح يقول لأخيه:

**«لأقتلنك». قال الأخ الطيب الصالح الذى اتسم بالطيبة والسماحة «لئن بسطت إلى يدك لتقتلنى ما أنا بباسط يدى إليك لأقتلك». لماذا هذا الهدوء النفسى والطمأنينة القلبية. عبر عنها الأخ الصالح بقوله:**

**«إنى أخاف الله رب العالمين».** وهنا تم الاعتداء البشع من الأخ العنيف الذى ارتسم فى كيانه الهجوم الجنونى والوحشية التى لا تعرف الرحمة ولا الحب ولا الحنان لذلك هجم على أخيه وقتله وكانت تلك أول جريمة وقعت فى التاريخ. لذلك وقف الأخ القاتل وهو لا يعرف كيف يوارى سوءة أخيه:

«أى يدفنه أو يقبره» المهم أن يوارى جثته. لذلك ارتسمت علامات التعجب على وجهه. إنه لا يريد لجريمته أن تتكشف ولا تعرف. لكن الجثة تشير إليها وكان من رحمة الله وفضله أن أرسل أمام هذا الأخ المتوحش «غرابين» قاما بعملية مشاجرة أمام عينيه وقتل أحدهما الآخر. وبدأ القاتل يحفر بأظافره فى الأرض إلى أن عمق الحفرة ثم وارى جثة أخيه وبدأ يهيل التراب عليها وهنا قال ابن آدم:
﴿يَا وَيْلَتَىٰ أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَٰذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْءَةَ أَخِي﴾[1]. وكان هذا الدرس الذى تعلمه هذا الشخص الذى تجرد من عواطف الحب تعلمه على يد طائر وقد سارت تلك سنة نوارى بها أجساد أمواتنا. وصدق الله العظيم:
﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ﴾[2]. وقد أوضح الله سبحانه وتعالى تلك القصة كاملة فى سورة المائدة من الآية ٢٧ إلى الآية ٣١.

من أجل هذا يتبين لنا أن أول من استعمل العنف من أولاد آدم كان طمعًا منه فى أن يفوز بتلك الفتاة التى أمر الله أن تزوج لأخيه.

---

(١) الآية ٣١ من سورة المائدة.
(٢) الآية ٥٥ من سورة طه.

والتاريخ يعيد نفسه فإذا كنا قد قرأنا فى الماضى ونقرأ الآن فى الحاضر بعض المشادات التى تنتهى بالقتل أو قيام الحرب بين بعض القبائل أو بين بعض الدول المتحضرة يكون سببها «امرأة».

لذلك قيل «فتش عن المرأة» وليس هذا الأمر مضطردًا دائمًا. فقديمًا قيل «وراء كل عظيم امرأة» فما من إنسان نجح فى أى عمل إلا وكان وراءه أم تشجعه أو أخت تخدمه أو زوجة تقوم على راحته والأمر يختلف بين الفريقين ونحن عندما نقول ذلك إن التنافس على قلب المرأة قد يؤدى بصاحبه إلى الهلاك لأن له منافسًا يتصارع معه فى هذا الميدان. ولعل فى أول حدث ما يعطينا الدليل الذى نهدف إليه.

**٢. الوصول إلى السلطة:**

هدف لبعض الشخصيات التى تسعى للزعامة وفى سبيل الحصول عليها لا يبالى الواحد منهم بالأرواح التى تزهق والأجساد التى تموت.

إنهم يمشون على أشلاء الموتى وجثث الأحياء للوصول إلى ما يشتهون. ولعل التاريخ أكبر شاهد بما سجله على

جبين الزمن للانقلابات التى حدثت والاغتيالات التى تمت واستعمال القوة والعنف ثم أطنان القنابل وملايين الرصاص الذى أطلق. كل ذلك خير شاهد على ما نحن بصدده مما يؤكد أن بعض من مات فيهم الضمير يحاولون دائمًا السيطرة على مقاليد الأمور. وعندما نقول ذلك لا نقصد به الحكم الرئاسى أو القيادة السياسية العليا أو التنفيذية وإن كان كل ذلك وارد ولكننا نقصد به أيضًا بعض الذين يتسلقون للحصول على المكان المرموق فى أية وظيفة أو المنصب فى أية مؤسسة والتنافس دائمًا مستمر والناس أعداء لبعضهم تلك حكمة الله ومشيئته ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ (١١٨) إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ﴾[١].

فالاختلاف طبيعة البشر.. اختلاف الرأى. الاختلاف فى وجهات النظر. فأصحاب النظر القصير للأمور وطلاب المنفعة العاجلة يخلقون من الحبة قبة ويجعلون من الكلمة مشكلة ويقيمون الدنيا ولا يقعدونها ذلك لأنهم لا يستطيعون العيش فى هدوء والعمل فى سكينة فهم دائمًا

---

(١) الآية ١١٨، ١١٩ من سورة هود.

فى ضجة مفتعلة أو غير مفتعلة.. واللعنة التى أصابت الشرق الأوسط كله ودخلت إليه فى صورة الإرهاب وحرمت الشعوب من الحرية والديمقراطية وحقوق الإنسان وكممت الأفواه الحرة وفتحت السجون والمعتقلات وحولت الأحرار إلى عبيد.. أدى هذا الإرهاب إلى اهتزاز الاقتصاد ونسف الاستقلال فانتشر الجوع والفقر والحرمان واستغلت كل هذه العوامل وأذكت نار الحقد والكراهية فى النفوس فكاد الأخ لأخيه وانشق الولد على أبيه وتوجس الزوج خيفة من زوجته وأصيب بالرعب من جيرانه ومات كل من يقول لنفسه:

«اتغدى بفلان قبل ما يتعشى بك». «إن جاء إليك الطوفان ضع ولدك تحت رجليك». «إن خرب بيت أبيك خد منه قالب واهرب».

وأمام كل هذا الطوفان الجارف من المعايير الاجتماعية الجديدة التى نشأ عنها حقد فى القلوب وغل فى النفوس وهى وافدة علينا عندما دخل الاستعمار إلى بلادنا وأراد أن يرحل أمام ضغط المقاومة الشعبية فرحل الاستعمار المادى وأبقى لنا الاستعمار المعنوى. وقد نجح فى ذلك

عندما قوض الأخلاق الفاضلة وهدم المعايير الدينية المتأصلة فى أعماق النفوس. ونحن بالتالى نشعر أننا تأخرنا فى الشرق بينما تقدم غيرنا فى الغرب. ويشهد التاريخ أننا الأساتذة الذين علمنا غيرنا وازدهرت بلادنا وصدرنا الحضارة إلى الغرب. وها نحن نعيش على ذكريات الماضى ونمد يدنا بالتسول إلى الغرب.

فكل نظرية تركوها نبدأ منها نحن وكل شىء أهملها نبحث عنه نحن وما لذلك من علة إلا أننا انصرفنا بكل ذرة فى كياننا نحل مشاكلنا الداخلية ونجلس مع بعضنا الأيام والشهور لنقيم مجلس صلح بسبب كلمة قالها شخص أو حركة أتى بها تافه من الناس.

وكل هذا إرهاب فكرى فى ثوب يتلون طبقًا للبيئة أو المناخ لأن الإرهاب ليس هو استعمال السلاح ولكن الإرهاب هو السلاح واللسان والقلم وما يجرى من مشتقات ذلك من أمور.

إن الشعوب فى الغرب تسقط الحكم بالانتخابات الحرة وتولى الإنسان الوظائف طبقًا لكفاءته وقدرته على الأداء وما لديه من قوة فى الانتباه مع الضبط والربط بدقة

ونزاهة وعفة وأمانة. فلا رشوة ولا محسوبية وإنما الشخص يقدمه عمله ويرشحه إنتاجه الفكرى أو قدراته العضلية طبقًا لما يسند إليه من مهام، لكن الشعوب هنا فى الشرق الأوسط تسقط الحكم بالقنابل والرصاص والاغتيالات والانقلابات والقوة والعنف والشخص ترشحه وساطته. فمبدأ ابن من أنت مازال يعمل به حتى الآن فى العديد من الأوساط. وكلمة «إن أردت أن تنجز فعليك بالونجز. «ومشى حالك» من الكلمات المألوفة التى نسمعها تتردد هنا وهناك حتى قال أحد الظرفاء: فبقشش إن أردت الحال يمشى... فما يمشى سوى حال المبقشش.

لكل هذه الأسباب تقدم الغرب وتأخر الشرق. فهم هناك يسلحون أنفسهم بالعلم والمال والقدرة على الأداء. أما فى الشرق الأوسط فيسلحون أنفسهم بالمفرقعات والمسدسات ومطاوى قرن غزال. أليس هذا من المحزن المبكى المؤلم المخزى، لقد كان الإنسان فى الشرق يفتخر ويصيح بأعلى صوته مناديًا:

لنا الصدر دون العالمين أو القبر.

ويقول:

أولئك آبائى فجئنى بمثلهم.

ويقول كما قال القرآن:

﴿وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّهْتَدُونَ﴾[1].

لقد تغير الحال وتغيرت الأخلاق والناس يعيبون الزمان والعيب فيهم ولكنهم لا يشعرون. فقد قال القائل:

نعيب زماننا والعيب فينا

وما لزماننا عيب سوانا

إن الإسلام الذى نؤمن به دين حب وسلام.. يسالم وبيده القوة. وينشر الحب والثقة المتبادلة ويرغب الناس أن يكونوا صرحاء مع بعضهم.. لأن المؤمن مرآة أخيه ورحم الله عمر بن الخطاب إذ يقول:

«رحم الله امرأ أهدى إلىَّ عيوبى».

لكل هذه المعايير نقول إن الإسلام دين يدعو إلى التفاهم ويقول بأن القمة لا تتسع إلا لواحد. فمن وصل إليها فساندوه وساعدوه لأن الخير يعود عليكم جميعًا.

ولذلك قال المثل الشعبى:

«إن كان أخوك فى خير افرح له».

---

(١) الآية ٢٣ من سورة الزخرف.

والإسلام وهو يرغبنا فى ذلك سمعت أذننا من فم النبى الصادق وهو يقول: «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه».

وحكى لنا القرآن الكريم موقف الأنصار من المهاجرين وضرب لنا المثل الكامل الذى يجب أن يتحلى به كل إنسان وهو الإيثار والتضحية فى سبيل إنجاح الجماعة لأن الفرد لبنة فى كيان المجتمع فيجب عليه أن يساند ويساعد الآخرين. قال الله تعالى فى هذا البيان:

﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[1].

كما أنه يرسم لنا صورة أخرى لمن صفت قلوبهم وسمت أرواحهم وعاشوا على مائدة الطهر والنقاء يحبون الخير لإخوانهم ولأنفسهم فقال سبحانه:

﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ وَلا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلاًّ لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[2].

---

(١) الآية ٩ من سورة الحشر.

(٢) الآية ١٠ من سورة الحشر.

تلك سمات المجتمع الفاضل وعلامات أهل الله. إنهم يؤسسون مجتمعهم على الحب والإيثار مع طهارة القلب وسلامة النفس فلا دسيسة ولا خيانة ولا غمز ولا لمز وإنما أخوة ومحبة وصراحة. وصفاء ونقاء.

وإذا كنا نذكر كل ذلك فجدير بنا أن نقف وقفة عند اغتيال سيدنا عمر بن الخطاب شهيد المحراب الذى قتل بيد الغدر والخيانة التى وضعت كل ما لديها من عنف وتطرف وحقد وكراهية على هذا الحاكم العادل الذى ساس الرعية بالحب والعدل حتى قال فيه أحد سفراء الدول الأجنبية:

«حكمت فعدلت فأمنت يا عمر».

ولقد كانت اليد التى ارتفعت بالحقد لا تغمد خنجرها فى جنب عمر وإنما كان فى جنب المسلمين جميعًا، وذلك لأن استشهاد عمر فتح بابًا على مصراعيه من التطرف والعنف لم يغلق حتى الآن فلقد تبعه ذو النورين. الرجل الطيب الجواد الكريم عثمان بن عفان حيث تجمع المتطرفون الغوغاء وقتلوه فى داره وهو صائم يقرأ القرآن ولحق به على بن أبى طالب: زوج البتول والفدائى الأول فى

الإسلام لقد تم اغتياله وهو يوقظ الناس لصلاة الفجر ثم لحق به الذرية الطيبة، الطاهرة فرع الدوحة النبوية «الحسين بن على» ابن بنت رسول الله ﷺ.

وهكذا شهد التاريخ ومازال حتى الآن تلك الاغتيالات التى يجند لها ضعاف النفوس ممن يغرر بهم ويلوح لهم بالمناصب أو بإغداق الأموال أو يمنح الدرجات العلا وما يتمنونه من متع الحياة.

والذى لا يختلف فيه اثنان أن الخير والشر يتصارعان وكان الأولى بأمة خاتم الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد «ﷺ» أن تتعاون مع بعضها ويسعى بذمتهم أدناهم ويكونوا يدًا واحدة ولكن والحال هكذا فإن الاستعمار ربى رجالاً على كراهية الإسلام وأغدق عليهم فأصبحوا أعداء الإسلام.. أو أعداء الشرق.. أى مسمى. فكادوا لتلك المنطقة وتآمروا عليها وبذلوا كل ما فى جهدهم لتحطيمها. وإبادة أبنائها لنهب ثرواتها.

ولازلنا نذكر أن حرب السلاح قد اختفت والمفرقعات أجلت وحل محل ذلك «حرب المخدرات». وناهيك بتلك الحرب فهى المدمرة المحطمة المذلة لكل من يقترب من

ساحتها ويتعامل معها. فكم قتلت من نفوس وخربت من بيوت وحطمت من أفراد كانوا قادة فأصبحوا عالة وأغنياء فأصبحوا فقراء وأقوياء فأصبحوا ضعفاء.

وإذا ما انتقلنا من حرب المخدرات وقبلها الخمر التى أصبحت فاسدة قاتلة مسمومة فكم قتلت من أشخاص وأشعلت نار الحقد والعداوة فإننا ننتقل إلى حرب القمار والربا وكل هذه الأشياء كما يقول القرآن الكريم السبب المباشر فى العدواة والبغضاء والتطرف والعنف لأن الشخص يقتل من يعترض سبيله أو يقف أمامه ليمنعه من تعاطى تلك الأشياء أو التعامل معها ثم هى فى الوقت نفسه تزين له الجريمة وبسبب ذلك حدث الهجوم على الإناث وخطفهن والاستيلاء على ما معهن من مصوغات أو نقود بقصد شراء الكيف والمزاج والجلوس على الموائد الحمراء.

ومن الذى صدر لنا كل هذه السموم القتالة وغرس فى نفوس أبنائنا هذا الفعل القبيح. إنهم أعداء الله وأعداء الإنسانية وأعداء الإسلام.

إن الدول المستعمرة استطاعت أن تؤسس لنفسها جهاز مخابرات واستطلاع وتحسس وتجسس والغرض منه إلقاء الشباك حول شخصيات تستهويها بألفاظ معسولة وتجرها

بعد ذلك إلى بؤرة الفساد لإشباع رغبتها. وهنا يحدث التطرف فنرى.

المتدينون يهمسون فى آذانهم بأنه لا قيام لشرع الله إلا بتحطيم محلات الفيديو وتكسير الأجهزة التلفزيونية وحرق السينمات وقتل الممثلين والممثلات وينخدع البعض بهذا الكلام ويقومون بتجميع أنفسهم وتنفيذ ما رسمته تلك الأجهزة وهم عندما ينفذون تلك المخططات الهدامة فهم يحطمون أنفسهم أولا ثم يجلبون لأنفسهم السخط من الجماهير. الإسلام يرفض هذا الأسلوب ولا يقبله لأن الحق سبحانه نهى عن سب الذين يدعون غير الله لأنهم يسبون الذين يدعون الله وهنا تكون فجوة كبيرة وفساد اجتماعى يؤدى إلى خلخلة وتصدع البنيان الأساسى للمجتمع يقول الله سبحانه: ﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾[1].

ولقد كان الأولى بهم أن يعرفوا أن دين الله لم يقم بالسيف ولم ينتشر بالإكراه وإنما قام دين الله بالدعوة إليه بالحسنى والكلمة الهادية المتأنية والموعظة الحسنة والقرآن

---

(١) الأنعام ١٠٨.

الكريم وهو أصدق كتاب على ظهر الأرض يقول «لا إكراه فى الدين»[1].

ويقول لحبيب الله ومصطفاه ﴿لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾[2]. ورب قائل يقول هذه آيات مكية.. لكن الملاحظ حتى فى الغزوات لم يبدأ الرسول ﷺ بالقتال وإنما كان يدعو إلى الإيمان أو الفدية لأن الإسلام لا يقبل من الشخص إلا إذا اعتنقه عن رضى وإيمان به وتصديق ويقول: ﴿أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾[3]. ولا إكراه فى الدين ولا لى ذراع ولا عنف وإنما الأسلوب الحسن والكلمة الطيبة والمجادلة بالحسنى وإلقاء السلام والاستماع إلى رأى الآخرين ومحاولة إقناع الغير كل ذلك مما أمرنا به نبينا «ﷺ» وجاءت به الآيات ناطقة.

أما التكسير والعنف فليس لهما فى دين الله مجال.

إن أى مسلم يطالب بتطبيق شرع الله ولا يخرج على هذه القاعدة إلا الشاذ وفى سبيل الدعوة إلى ذلك علينا أن نعمل على تنمية الثروة وتوفير الخير ونحن ندعوا الناس

---

(١) الآية ٢٥٦ من سورة البقرة.

(٢) الآية ٢٩ من سورة الكهف.

(٣) الآية ٩٩ من سورة يونس.

إلى الإيمان بالله لا يليق بنا أبدًا أن نضرب الغير ليدخل فى دين الله. وصدق الله العظيم.

﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾[1] وقوله تعالى: ﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾[2].

وإذا كان العنف هو صورة التعبير الذى لجأ إليه بعض الأفراد فى شتى الأزمنة والأمكنة واستخدموا فى ذلك غير المشروع للوصول إلى ما يريدون فإن ذلك أمر مرفوض من أصحاب العقول المفكرة الذين يجهرون برأيهم ويقولون الحق ولو كان مرًا.

إن العنف يظهر فى مختلف النظم القائمة فى العالم ولكن تزداد معدلاته كلما ضاقت قنوات المشاركة الديمقراطية عن التعبير عن الرغبات الشعبية.

الأمر الذى يجعلنا نطالب باتساع القنوات الشرعية لتسمح بقدر أكبر من التفاعل الإيجابى بين الحاكم والمحكوم. بداية من حاكم القرية ثم المدينة ثم المركزية يكون الالتحام أكثر والتفاهم على متطلبات البيئة.

---

(١) الآية ٨٣ من سورة البقرة.

(٢) الآية ١٢٥ من سورة النحل.

ونذكر فى هذا المقام أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه وقد وزع بعض الأقمشة فى عام المجاعة على الجماهير. كانت الكمية بسيطة جدًا لا تسمح بجلباب طويل وقد رأى الناس عجبًا فى عمر بن الخطاب رضى الله عنه عندما صعد المنبر ليؤدى لهم خطبة الجمعة فرأوا أن جلبابه طويل جدًا وهو الطويل الفارع، فلابد وأنه أخذ أقمشة زائدة عن الجماهير.

وهذا شىء لا يحقق العدالة فلما استقبل الناس بوجهه قال «أيها الناس اسمعوا وأطيعوا فقام رجل من عامة الشعب ووقف فى المسجد وقال:

يا بن الخطاب لن نسمع لك ولن نطيع.

فقال عمر: ولم يرحمك الله؟

قال الرجل على مسمع من الجماهير: إنك وزعت علينا أقمشة لا تسمح إلا بقميص بينما أنت ترتدى جلبابًا من القماش.

لقد أخذت أكثر من حقك وهذا ليس لك.. وهنا صاح عمر وقال يا عبد الله بن عمر. فقال: لبيك أبى؟.

قال: قم فأجب الرجل يرحمك الله.

فقال عبد الله: لقد أخذ أبى نصيبى فى هذه المرة ليصنع لنفسه جلبابًا حتى إذا كانت المرة القادمة أخذت نصيب أبى وهكذا.

وإذا بالرجل يصيح ويقول: قل يا ابن الخطاب نسمع لك ونطيع يرحمك الله لأن الرجوع إلى الحق فضيلة لذلك رجع الرجل عن رأيه فى عمر بعد أن اتضح الأمر.

هذا هو الأسلوب الأمثل فى مواجهة المشاكل من خلال قنواتها الشرعية ومواجهة الأمور بحسم وصراحة حتى تكون الرؤية واضحة والأمور مفهومة.

ويحضرنا فى هذا المقام أيضًا تلك القصة الرائعة التى حدثت من عمر بن الخطاب رضى الله عنه عندما كان يتعسس على رعيته (أى يتعرف أخبارها ليستطيع معالجة المشاكل برفق وحكمة).

فسمع أصواتًا غريبة فيها رنة السكر. وتسمع عمر من على الحائط فعرف أن بالداخل قومًا يشربون الخمر ومعهم أصوات نسائية. فتسلق عمر على الجدار ونزل إليها وأمسك بهم وعرفهم والخمر فى أيديهم وعلى موائدها

والنساء شبه عرايا. فقال لهم أمسكت بكم أيها المنحرفون فقالوا له مهلاً يا عمر. إننا جئنا بخطأ واحد وأنت جئت بثلاثة أما النساء فهي زوجاتنا والخمر نعترف أننا نحتسيه وهذا هو خطؤنا. أما أنت فجئت بثلاثة أخطاء:

١ - يقول الله تعالى: ﴿وَلَا تَجَسَّسُوا﴾[١] وقد تجسست علينا.

٢ - يقول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَىٰ أَهْلِهَا﴾[٢] أنت لم تستأنس ولم تسلم ولم تستأذن.

٣ - يقول الله تعالى: ﴿وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا﴾[٣] أنت لم تستأنس ولم تسلم ولم تستأذن.

وهنا وقف عمر وقد أصابته الدهشة وقال لهم وما العمل إذًا:

قالوا: تعفو عنا ونعفوا عنك وهذه بتلك.

فقال: قد قبلت وتركهم وانصرف.

---

(١) الآية ١٢ من سورة الحجرات.
(٢) الآية ٢٧ من سورة النور.
(٣) من الآية ١٨٩ من سورة البقرة.

وعند الباب نادوا عليه: يا ابن الخطاب أما وإنك عملت هذا نشهد الله أننا لن نعود إلى خطأ أبدًا وتبنا إلى الله.

إن التعامل الحسن يهدى للتى هى أقوم ويجعل اللين فى الأعصاب والرفق فى القلوب.. لأن الرفق ما دخل فى شىء إلا زانه وما دخل العنف فى شىء إلا شأنه.

لكل هذه المعايير نرى أن الإسلام يرفض استعمال العنف للوصول إلى الحكم لأنه أسلوب مرفوض يهدم ويبنى يفرق ولا يجمع وكل هذا ليس من الإسلام فى شىء.

# الجماعات الإسلامية

فى ندوة للمركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية فى القاهرة المنعقدة فى ١٩٨٦/٥/١٢ حددت الجماعات الدينية الموجودة فى مصر بأربع جماعات تنحصر فى:

١ - الأخوان المسلمون: هذه الجماعة أسسها الإمام الشيخ حسن البنا الذى كانت له القدرة على الخطابة وإقناع الجماهير بالمبادئ التى يؤمن بها وينادى بتطبيقها وتنحصر فى غرس المحبة بين الناس وتجديد المفاهيم الإسلامية لدى الجماهير وإيقاظ الوعى الدينى والشعور بالمسئولية والإحساس بالآخرين. وهذه الجماعة تخلت عن فكرة الاغتيال واستعمال العنف لأن هذا الأسلوب أصبح لا يتناسب والمفهوم الحضارى للعصر الذى نعيش فيه.

وإن كانت لهم تجربة قاسية أدت بهم إلى السجن بعد اغتيال النقراشى. ولذلك فهم قد اقتصروا على الدعوة باللسان لهداية الناس ومحاولة المشاركة بالعمل السياسى عن طريق الانضمام لبعض الأحزاب والحصول على عضوية الهيئات التشريعية.

٢ ـ السلفيون: الذين يرون فى التربية الدينية للأفراد السبيل لإقامة الدولة الإسلامية ويرفضون منازلة السلطة باليد واللسان وينكرون موقفها بالقلب. فهم بعيدون عن العنف ويهتمون بإقامة الشعائر الدينية.

٣ ـ جماعة التكفير والهجرة: وهى جماعة مسلمة متطرفة تنادى بأن المجتمع كله كافر وملحد لأنه يتبع قوانين وضعية ولا يطبق الشريعة الإسلامية ومن ثم تعزل هذه الجماعة نفسها عن المجتمع حتى تظل محتفظة بنقائها وطهارتها كما تزعم فى مواجهة المجتمع الكافر.

٤ ـ جماعة الجهاد: وهى أعنف الجماعات الإسلامية فى مصر وهى التى اتهمت باغتيال السادات وفى ذات الوقت ينسب إليها أنها ما زالت تقوم بأعمال الإرهاب والعنف لأنها تعتبر المجتمع كله كافر وتؤكد أن قتال

الكافرين هو الوسيلة الوحيدة لإقامة الدولة الإسلامية.

وإذا كان هناك من يقول بأن كل هذه الجماعات روافد من جماعة الأخوان المسلمين فإن تصريح المرشد العام الجديد لجماعة الأخوان المسلمين نفى هذا لأن الأخوان لا يقرون العنف ولا يتخذون الإرهاب وسيلة للوصول إلى مآربهم وإنما يتخذون الدين بكل ما فيه من مقومات أخلاقية وتعامل حسن وسيلة لهم للوصول إلى ما يريدون والذى نلحظه الآن أن التطرف الذى أصبح ظاهرة اجتماعية ترتبط بتواجد التمايز الطبقى والظروف الاقتصادية التى تحرم الكادحين حقوقهم فى الحياة.... بلا شك نسب البعض هذا التطرف إلى «الدين» والدين برىء منه لأن الدين سماحة ويسر وسهولة ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾(١).

﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾(٢) الله فى عون العبد مادام العبد فى عون أخيه، من أعان مسلمًا أعانه الله.. ومن ستر مسلمًا ستره الله «المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره ولا يسلمه.

---

(١) الآية ٧٨ من سورة الحج.

(٢) من الآية ١٨٥ من سورة البقرة.

«بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم».

تلك سمات الإسلام سماحة، لين، تواضع فى غير مذلة، رحمة بغير ضعف.

أما التطرف فهو التعصب الشديد وهو من علامات ضيق الأفق ومن مظاهر انحلال الشعوب... فالشعوب التى تحترم كل الآراء وتشجع على تعدد النظريات هى الشعوب الناضجة أما الشعوب التى تطبق النظرية الواحدة وتغلق باب الاجتهاد وتحجر على العقل هى شعوب مصابة بعمى البصيرة اختارت الذل والهوان.

وإذا كان التطرف هو نتيجة لترجمة عمياء للتعصب والعنف والإرهاب فإن فكرة الحوار وتبادل الآراء تختفى ويسود الرأى الواحد وتوزع الاتهامات على كل من يعترض على رأى القائلين من المتطرفين الذين يتهمون غيرهم بالزندقة والإلحاد.... وإذا ساد المجتمع أزمات أخلاقية وتدهورت القيم العالية وانحدر الإنسان إلى مرحلة الضياع كل ذلك يؤدى إلى التخلف الفكرى. وهنا تظهر نظرية التطرف الدينى الذى هو دعوة للرأى الأوحد والبعد عن لغة الحوار.

وفرق كبير بين اعتناق فكرة والدفاع عن مبدأ . فالانتماء لعقيدة والولاء لأيديولوجية تفسح الفكر لتبادل الآراء وإقامة جسر من الحوار للوصول إلى هدف معين، ففرق كبير بين ذلك وبين التعصب الذى يؤدى إلى الجمود أما الدين فهو روح وحرية وحياة. يقول الله تعالى:

﴿أَوَ مَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا﴾(١)

إنه لا يليق بنا أن نطلق التطرف على الدين لأن الفرق كبير جدًا بين التطرف الذى يصيب الإنسان بالهوس والضلال وبين الدين الذى يجعل الإنسان سمحًا كريمًا هاشًا باشًا لأنه سمع من فم نبيه الكريم:

«تبسمك فى وجه أخيك صدقة».

والإسلام عقيدة وشريعة. دين ودولة هو الفيصل فى كل قضية لأنه المصدر الوحيد لمقومات المجتمع الفاضل. ولما كان الأمر كذلك فإننا نلحظ أن المذاهب الإسلامية التى نشأت وترعرعت وأنبعثت فى ظل المفهوم الإسلامى لم يكن

---

(٣) الآية ١٢٢ من سورة الأنعام.

أحد من قادة تلك المذاهب أن تعصب لمذهبه أو تطرف فى فكرة فكان الواحد منهم يقول: «كلامى خطأ يحتمل الصواب فإذا صح الحديث عندكم فاضربوا بكلامى عرض الحائط».

ونذكر أن الإمام الشافعى وهو من أجل العلماء قدرًا صح القنوت عنده فى صلاة الفجر والإمام أبو حنيفة من أكابر العلماء وأجلهم قدرًا صح القنوت عنده فى ركعة الوتر فى «آخر الليل».

ولقد زار الإمام الشافعى قبر الإمام أبى حنيفة ومكث عنده خمسة عشر يومًا. ترك القنوت خلالها فى صلاة الفجر وقنت فى الوتر، فسأله أصحابه: لم تركت ما صح عندك يا إمام؟.. ورجعت إلى قول الإمام أبى حنيفة. قال: تركت ما صح عندى إلى ما صح عند صاحب هذا القبر احترامًا لشخصيته. «رغم أنه ميت» ونحن فى ضيافته. فهل يدرك المتطرفون هذه القيم ويعملون بها؟

إن التطرف والتعصب والعنف من الأمور التى تشل حركة التقدم وتظهر أى مجتمع تظهر فيه تلك الآراء بالتخلف الحضارى والعيش فى عصور الهمجية. ومما

لاشك فيه أنه قد يتطرف شخص أو اثنان فهما يسيئان إلى الأمة بأكملها لأنهما مظهر فساد وتعفن. لذلك وجب الأخذ على أيديهما بشدة جزاء ما اقترفت يداهما. وتكون العقوبة عليهما ما جاء فى قول الله تعالى:

﴿ إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلافٍ أَوْ يُنفَوْا مِنَ الأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾[1].

ولعلنا ندرك أن الإسلام أمر المسلمين أن يعيشوا بوجه واحد لأن صاحب الوجهين هو المنافق الذى يقابل هذا بوجه وذاك بوجه.

يلقاك يحلف أنه بك صادق فإذا توارى عنك فهو العقرب.

وكما قيل فى المثل: فى الوش مرايه والقفا سلايه.

فلا يليق بالمسلم أبدًا أن يعيش بوجهين فى المجتمع ونعنى بذلك أن بعض الكتاب يكتبون فى الجرائد والصحف كلامًا ويناقضون ذلك فيما ينشرون فى الصحف الأجنبية.

---

(١) الآية ٣٣ من سورة المائدة.

أو بعض الناس يكونون علنًا فى حزب معين بينما هم ينتمون إلى فريق آخر يعمل فى الظلام وهنا تكون الطامة الكبرى لأن هذا الشخص سجل على نفسه أنه من المنافقين الذين هم فى الدرك الأسفل من النار ولن تجد لهم نصيرًا.

**إن الإسلام دين وسط رغب في الوسطية فى كل شىء.. ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾(١).**

ومعنى ذلك أن الإنسان لا يتطرف يمينًا ولا شمالا وإنما يعيش عدلا متوسطًا لا هو بالجامد ولا باللين وإنما هو الوسط المعتدل كما قيل فى المثل «لا تكن جامدًا فتكسر ولا لينًا فتعصر» وإنما كن وسطًا فى كل شىء.

لأن الشجاعة مثلا أمر مستحب ومطلوب من الإنسان أن يكون صريحًا شجاعًا فهو لا يكون فى مواطن الخطر جبانًا ولا فى مواطن التهور مندفعًا وإنما عليه أن يتروى للأمور ويحسم الموقف طبقًا لما تمليه المصلحة العامة ويتطلبه الموقف الذى أمامه.

---

(٢) من الآية ١٤٣ من سورة البقرة.

إن الجماعات الإسلامية عليها أن تراجع أمرها وأن تحاول جاهدة أن تنظم صفها فى وحدة وأخوة بدلا من الفرقة.. لأننا ما هُنّا على الأعداء إلا بعد أن هُنّا على أنفسنا. فالهوان على النفس يأتى من خلال أنك ترى أخاك لا ينصرك بل يخذلك ويتربص بك ويتحداك وهنا يكون رد الفعل السيىء على النفس ونحاول أن نبرر رد الفعل فى أنفسنا فنقطع أواصر الصداقة ونقول «والبادى أظلم». وكل ذلك يعود علينا خيبة وهوانًا.

إن الإسلام دين جماعة يوحد الصف وينظم الجمع ويقول للناس: ما قاله الحق تبارك ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾[1].

ونحن الآن فى حاجة إلى تجميع الصف استجابة لقول الله تعالى ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾[2] وتحقيقًا لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم:

يد الله مع الجماعة ومن شذ شذ فى النار».

---

(١) الآية ٩٢ من سورة الأنبياء.
(٢) من الآية ١٠٣ من سورة آل عمران.

فعلى هذه الجماعات والجمعيات والطرق الصوفية وقيادات العمل الإسلامى فى هذا المجتمع أن يطرحوا قضية أهم من كل خلاف وهى:

«كيف نوحد صفنا.. حتى نستطيع مواجهة عدونا الذى اتخذ سياسة فرق تسد فهو يعمل على تمزيق الصف وتفتيت الوحدة حتى يستطيع ضربنا واحدًا بعد الآخر وما أحداث المجتمع الإسلامى عنا ببعيد.

فها هى لبنان وأفغانستان والسودان نذهب بعيدًا وفى الخيال ترتسم أحداث الأندلس وفلسطين.

وصدق من قال:

يا يوم كشمير تحية مسلم

مطوله عبرى ترفرق بالدم

يا أخت أندلس وتربى مراكش

لا يسلم الإسلام حتى تسلم

إن المحن التى أصابت المجتمع الإسلامى نتيجة الفرقة والخيانة والدس والوقيعة وكل ذلك جاء من التطرف والتعصب والعنف الذى وصم المجتمع الإسلامى وصمة

التخلف والانعزال عن ركب التقدم والحضارة فهل آن الآوان أن تستعمل الأسلحة الإسلامية لحمياة الشرف والعرض والكرامة والأوطان. وتلك الأسلحة هى الوحدة والتضامن والألفة والأخوة وشعار الجميع. ﴿واعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾(1).

وما جاء على لسان السيد المسيح عليه السلام: من ضربك على خدك الأيمن فأدر له الأيسر ومن جذب الرداء فاترك له الرداء أيضًا. حبو أعداءكم. باركوا لاعنيكم.

تلك هى سمات المجتمع المتحضر الذى يبغى لنفسه الرقى والمجد والخلود ولأبنائه العزة والرفعة والسيادة.

إن الأديان السماوية ترفض العنف والخوف. والأديان ترفض هذا لأن الخائف لا يستطيع أن يمارس شعائره الدينية ولا يقوم بأداء الواجب عليه نحو إخوانه فى المجتمع. والجو المشحون بالخوف يؤدى إلى الجبن والتراجع والانهزامية ومن كانت تلك صفته فقد كرامته وأسلم قياده لغيره.

لما كان الأمر كذلك فإن الأديان السماوية تدعو كل شخص إلى أن يكون حرًا عزيزًا كريمًا يستعمل عقله ويلتزم بمنهج ربه ويقتدى بنبيه. ومن خلال ذلك فهو يحيا فى المجتمع بروح وثابة ونفس مطمئنة ويمشى بين الناس واثق الخطى يشعر بالأمن والأمان فيمارس حياته الطبيعية.. والأديان وهى ترفض العنف والخوف وتنادى بالأمن والأمان لم تقل ذلك نظريًا فقط وإنما كانت هناك التجارب العملية التى قضت على المجرمين وأبادت المتطرفين وفرقت جموع المخربين ونستأنس هنا بقول الله تعالى:

﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا﴾.[1]

من خلال هذا المفهوم تبين لنا أن الأديان لا تقر التطرف أبدًا ولا العنف. وتنادى كل من ينطوى تحت لوائها أن يكون سمحًا رحيمًا بارًا كريمًا يعفو ويصفح ويحسن إلى من أساء إليه.

---

(١) الآيتان ٣٩، ٤٠ من سورة الحج.

فمما قيل. «لا تكن عونًا مع الشيطان على أخيك». أى إذا وقع أخوك فى معصية فلا تعنفه ولا تصفه بالإلحاد ولكن وجه إليه النصيحة برفق ولين وخذ بيده. ليقوم من كبوته وينهض من عثرته ويسترد كرامته وينطلق فى المجتمع عاملا يسهم برأيه وعمله فى تقديم المجتمع الذى يعيش فيه.

إن المجتمعات تمتلئ الآن بالجمعيات الخيرية والمنابر الحزبية والهيئات الدينية والإسلامية. ومما لا يختلف فيه اثنان أن الناس إذا لم يشغلهم الحق خطة شغلهم الباطل ولذلك لو أن كل هذه الهيئات وضعوا خطة عمل لكل هيئة على حدة وتكون هذه الخطة قصيرة المدى. أى برنامج للإصلاح ثم تقوم هذه الهيئات بخطة عمل مجتمعة طويلة المدى يتعاون الكل فى تنفيذها وكل فريق يقوِّم الآخر إذا انحرف عن خط المنهج الموحد لكان الخير لهذه المنطقة التى هى محط رسالات الله وملتقى الأديان السماوية.

ولكن ولما كان أعداء الشرق يريدون أن يمزقوه وهم لم يستطيعوا ذلك زرعوا الحقد والحسد والغل والتطرف والعنف، وضعوا لكل ذلك قواعد علمية من وجهة نظرهم

وصدورها إلينا فى صورة مجلة أو كتاب أو فيلم سينمائى أو كلمات لأغنية.

واندفع وراء ذلك بعض ممن لا أخلاق لهم فضلوا وأضلوا وفسدت طبائعهم وأفسدوا غيرهم وقد آن الأوان أن نتعرف على الحقيقة وأن نعلم جميعا أن الإسلام هو خاتم الرسالات السماوية، حذرنا مغبة ذلك وأخبرنا فى القرآن الكريم وهو منهج رسالة الإسلام بقوله سبحانه. ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾(١)

فالظلم إذًا يفسد الإيمان ويبطل ثواب العبادات.. والظلم هو الاعتداء على الغير أو تخويفه أو إدخال الرعب عليه مما يدفعه إلى الرد بالعنف أو يبدأ هو بالهجوم بدلا من الدفاع المبكر عن نفسه كما قيل أيضًا:

«خير وسائل الدفاع الهجوم» وقيل أيضًا «أتغدى بخصمك قبل ما يتعشى بيك».

---

(١) الآية ٨٣ من سورة الأنعام.

من أجل هذا كانت الأديان دعوة إلى السماحة حتى ينطلق الإنسان فى كون الله يبنى ويعمر ويؤدى ما فرضه الله عليه فى يسر وسهولة ومحبة وتعاون.

# الإرهاب

هو أن يتسلط فرد على فرد أو جماعة بالتهديد الجسدى أو الفكرى بقصد الاستيلاء على أشياء قلت أو كثرت أو تراجع المهددون عن فكرة يعملون لها أو فكرة يخططون لإنجاحها.

فالإرهاب إذًا هو نوع من السطو المباشر أو غير المباشر لإمكان زحزحة فرد أو جماعة عن شىء ينوون عمله.

ولقد شهد العالم أجمع هذا النوع من الإرهاب الذى يمثل فى خطف دبلوماسى كبير أو ثرى عظيم وتهديد أسرته بقتله إن لم يدفعوا ما يطلبه الخاطفون.

كما أن ذلك يتمثل فى خطف الطائرات أو احتجاز بعض الرهائن لأسباب تتعلق إما بنواحٍ سياسية أو ابتزازية والغرض منها:-

١ ـ هز الضمير العالمى لأسباب تتعلق بوطن مغصوب أو جماعة مطرودة من أوطانهم بلا ذنب أو غير ذلك من النواحى السياسة التى لها صلة بالأرض والعرض والكرامة.

٢ ـ وقد يكون ذلك بقصد لى ذراع دولة كبرى لأسباب مالية أو إرغام تلك الدولة على فعل شىء معين لم تكن لتفعله لولا ذلك.

وإزاء ذلك نرى أن كل هذه الوسائل ممنوعة من ناحية الأخلاق أو الشرائع السماوية أو العرف الدولى.

وإزاء كل ذلك علينا أن نحلل تلك الظواهر وأن نقول للمجرم المعتدى «قف مكانك أنت» وبدلا من أن نقول للمظلوم اصبر علينا أن نقول للظالم «ارفع يدك» لأن الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق وهذا الضمير العالمى من ناحيتهم وماتت النزعة الإنسانية من جهنهم وتبلدت العواطف الطيبة نحوهم. فهل يليق بنا أن نقول لهؤلاء وهم يرون أبناءهم ونساءهم تحصدهم المدافع وتدوس على جثثهم الدبابات ويتجرعون كأس الذل والمرارة والحرمان هل يليق بنا أن نقول لهم اصبروا بينما النيران تحاصرهم

من كل جانب وليس هناك من يتحرك لإطفاء النار فإذا قام فئة من هؤلاء وفعلوا ما يحلوا لهم بأية وسيلة لهز الضمير العالمى وبعث العواطف الطيبة من رقادها. نقول لهؤلاء بذنبكم أخذتم ولحقكم انتصرتم لأنكم عرضتم قضيتكم على المحافل الدولية فلم يأبه لكم فمن حقكم أن تفعلوا ما تقدرون عليه».

**وهنا يأتى سؤال:**

ما ذنب هؤلاء الذين هم فى طائرة جنسياتهم مختلفة ومشاربهم متباينة وما ذنب السفير؟.

**نقول:**

إن الذين فعلوا ذلك كان غرضهم الاستيلاء على طائرة من شركة معادية لبلادهم أو لسفينة أو لسفير معروف عنه العداء الشديد فإذا لم يفعلوا ذلك أخذوا أية طائرة أو أية سفينة أو أى سفير فهذا شىء لا يقره عرف ولا دين.

قد يقول الفاعل بأن الدول أصدقاء ونحن نفعل ذلك لهز الضمير العالمى:.

نقول لهم قديمًا قيل:

**لا تأخذ الولد بذنب أهله ولا الحيوان بذنب صاحبه بل على الواحد منا أن يكون محدد الهدف مع الدولة المعادية**

له حتى يستطيع صد العدوان بالعدوان امتثالا لقول الله تعـــالى ﴿فَمَنِ اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ﴾(١).

٢ - أما بخصوص ما يتعلق بلى ذراع دولة كبرى لأى سبب من الأسباب أو شركة من الشركات أو أسرة من الأسر الغنية فهذا شىء من الابتزاز والقرصنة وهذا مرفوض فى كل الأعراف دينية أو اجتماعية وعلى هذا فإن الإرهاب يمكن أن يسند إلى مجموعة من الأفعال المعينة التى يقصد بها أساسًا إحداث الرعب والخوف كجميع أفعال الاختطاف المصحوب بطلب فدية.. واختطاف الطائرات والقتلى والاغتيال والتخريب والتدمير ونشر الشائعات وإفساد الجو العام. فالإرهاب إذن ظاهرة لها دور معين فى الصراع السياسى ونمط العنف السياسى مع الكثير من أشكال العنف الأخرى مثل حركات التمرد والعصيان والاعتصام وتدمير المال العام وتخريب المنشآت الأمر الذى يجعل التصدى للإرهاب أمرًا ضروريًا لتقليل الخسائر قدر الإمكان والأخذ على أيدى المنشقين بسرعة حتى لا يتسع نشاطهم وإفساد البيئة وكل مظاهر التقدم.

---

(١) الآية ١٩٤ من سورة البقرة.

# كلمة الإرهاب

وما ذكرناه هو تعريف نابع من الفكر ولكن آن الأوان لنا أن نقف أمام كلمة الإرهاب فى اللغة العربية.

وبالرجوع إلى المعاجم العربية القديمة نجد أن هذه الكلمة قد خلت منها مما يدل على أنها حديثة الاستعمال ولكن:-

نجد فى القرآن الكريم أن هذه الكلمة الرهبة جاءت بعدة معان كقول الله سبحانه وتعالى: ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ﴾[1].

وقوله سبحانه «﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا﴾[2].

---

(١) الآية ٤٠ من سورة البقرة.

(٢) الآية ٩٠ من سورة الأنبياء.

وقوله سبحانه ﴿وَقَالَ اللَّهُ لاَ تَتَّخِذُوا إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ﴾(١).

وقوله سبحانه ﴿لأَنتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِم مِّنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لا يَفْقَهُونَ﴾(٢).

والمتأمل فى معنى هذه الآيات يستدل على أنها تدل على تقوى الله سبحانه وخشيته.. وقد تأتى بمعنى الخوف والرعب كقول الحق سبحانه:

﴿قَالَ أَلْقُوا فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ﴾(٣)

وقد تأتى بمعنى الردع المعروف فى موازين القوى العسكرية فى أيامنا هذه كقول الحق سبحانه.

﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لاَ تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ﴾(٤).

---

(١) الآية ٥١ من سورة النحل.
(٢) الآية ١٣ من سورة الحشر.
(٣) الآية ١١٦ من سورة الأعراف.
(٤) الآية ٦٠ من سورة الأنفال.

ولما كانت كلمة إرهاب حديثة فقد أقرها المجمع اللغوى واعتبرها كلمة مشتقة فهى من باب «طرب».

وكلمة إرهاب هى مصدر الفعل «أرهب» وأرهبه بمعنى خوفه وأرهب بمعنى «أطال كمه» أو بمعنى ركب الرهب أى ما يستعمل فى السفر من الإبل.

والإرهابيون فى المعجم الوسيط وصف يطلق على الذين يسلكون سبيل العنف والإرهاب لتحقيق أهدافهم السياسية.. وفى المنجد.. الإرهابى من يلجأ إلى الإرهاب لإقامة سلطته.

وورد أيضا فيما يتعلق بالحكم الإرهابى: نوع من الحكم يقوم على الإرهاب والعنف تعمد إليه حكومات أو جماعات ثورية.. وفى الرائد.. الإرهابى من يلجأ إلى الإرهاب بالقتل وإلقاء المتفجرات أو التخريب لإقامة سلطة أو تقويض أخرى.

من كل ذلك تبين لنا أن لفظ إرهاب مشتق من معنى الخوف والفزع والرعب وإن كانت الرهبة فى اللغة عادة ما يستخدم للتعبير عن الخوف المشوب بالاحترام لا الخوف والفزع الناجم عن تهديد قوة مادية أو حيوانية أو طبيعية. فهذا يسمى رعبًا أو ذعرًا وليس رهبة.

من هنا يقال «رجل رهبوت» أى رجل له مهابة واحترام.

وإذا كانت هذه الكلمة كذلك فإن معنى كلمة إرهابى لدى أغلب الناس الآن تشير إلى «الفوضويين» الذين يسببون للناس إزعاجًا وللدولة إقلاقًا.

ولذلك يقولون عن الإرهابيين أنهم مخربون أو عصاة منشقون أو محاربون من أجل الحرية أو هم رجال حركات شعبية.

ويستفاد من كل ذلك أن كلمة الإرهابى لها مدلول يختلف من بيئة إلى أخرى وإن كان الغالب عليها الآن فى العرف الدولى أنها تطلق على كل متطرف مخالف مشاغب.

إن التعريف الموضوعى للإرهاب يجب أن يصف الظاهرة التى قام بها من أطلق عليهم هذا اللفظ حتى يكون هناك تحديد لهدفهم وهل الوسيلة التى اتخذوها مشروعة أو غير مشروعة؟.. وإن كانت الفكرة الموضوعية تقوم على أساس أن الفعل الإجرامى وإن كان مرفوضًا إلا أنهم اتخذوه وسيلة لإظهار حقهم المطموس لأنهم لم يجدوا غير هذا.

لذلك يجب أن نبحث العوامل التى أدت إلى تطرف هؤلاء الناس واتخاذهم الإرهاب وسيلة لهم وقضاء المصلحة التى ينادون بها خاصة إذا كانت تحرير مجتمع من المجتمعات وحتى لا يكون هناك إرهاب فى صوت رجل يلبس مسوح الأنقياء.

ولعل فى تعريف المدرسة الأمريكية ما يشير إلى ذلك حيث عرفت الإرهاب بأنه «نشاطات عنيفة توجه ضد الدولة من مجموعات منظمة» وكذلك عرفوه بأنه «الإرهاب يميل إلى العنف الابتزازى أو العشوائى الذى يستهدف فى النهاية تحقيق أهداف منظمات الحرب الشعبية ،.. أو حركات التحرير .. أو المقاومة الوطنية.. وقد يقع العنف على المدنيين أو - الدبلوماسيين أو الأشخاص الذين ليسوا أطرافًا فى النزاع.

من كل ما قدمنا تبين لنا أن كلمة إرهاب مقصود بها نوع من التمرد المشوب بالعنف للحصول على شىء ما بطرق مشروعة أو غير مشروعة الأمر الذى يجعلنا ننادى على الأمم المتحدة وتلزمها من خلال هيئاتها ولجانها وما يتفرع عنها أن يكون لهم وقفة مع المظلوم ضد الظالم حتى لا تضيع حقوق وتهدر كرامات تحت أى مسمى من المسميات.

# الإرهاب فى القانون المصرى

جـاء هـذا اللفظ فـى بعض المواد من القـانون الجنائى المصـرى كـالمادة ٩٨أ، ٩٨أ مكرر فى القـانون رقم ٥٨ لسنة ١٩٣٧ «قانون العقوبات» فى الباب الثانى من الكتاب الثانى. «الجنايات والجنح المضرة بالحكومة من جهة الداخل».

وتتعلق المادة ٩٨أ بتجـريم أفـعـال إنشـاء أو تأسـيس أو تنظيـم أو إدارة جـمـعـيات أو هيئـات أو منظمـات ترمى إلى سيطرة طبقة اجتمـاعية على غيرها من الطبقـات أو إلى القضاء على طبقة اجتماعية أو قلب نظم الدولة الأساسية الاجتمـاعيـة أو الاقتصادية أو إلى هدم أى نظام من النظم الأساسـية للهيئة الاجتماعية أو إلى تجنيد شـىء مما تقدم أو الترويج له متى كان اسـتـعمـال القـوة أو الإرهاب أو أية وسيلة غير مشروعة ملحوظة فى ذلك.

وتتعلق المادة ٩٨أ مكرر بتجريم إنشاء وتنظيم وإدارة جمعية أو هيئة أو منظمة أو جماعة يكون الغرض منها الدعوة بأية وسيلة إلى مناهضة المبادئ الأساسية التى يقوم عليها نظام الحكم الاشتراكى فى الدولة أو الحض على كراهيتها وازدراء بها أو الدعوة ضد تحالف قوى الشعب العاملة أو التحريض على مقاومة السلطات العامة أو ترويج أو تحبيذ شىء من ذلك.. وتضيف المادة بتشديد العقوبة إذا كان استعمال القوة أو العنف أو الإرهاب ملحوظًا فى ذلك.

مما تقدم تبين أن لفظ الإرهاب ورد فى نصوص القانون كأحد صور العنف لأنه جاء قرين القوة أو العنف فالقانون إذًا لا يفرد تعريفًا للإرهاب وإنما يجعله صورة من صور استخدام العنف فى تحقيق أغراض سياسية.

وهذا الذى جاء فى القانون المصرى يشابه كثيرًا من قوانين دول العالم كفرنسا وأسبانيا وجنوب إفريقيا والبرازيل وألمانيا الغربية وإنجلترا وشيلى حيث جاء تعريف الإرهاب مقارنًا لكلمة العنف.

والنظرة الموضوعية التى نلحظها فى العلاقات الدولية نرى أن فكرة العدوان تقابل فكرة البغى فى المجال المحلى فإذا كنا قد استبعدنا فكرة مشروعية الفعل أو عدم مشروعيته فى المجال الداخلى لتجريد التعريف على النطاق الوطنى فإننا أيضًا نستبعد فكرة العدوان على المستوى الدولى لأن الفعل الواحد قد يكون عدوانًا فى نظر طرف ما من أطراف الصراع، بينما هو فى ذات الوقت عمل من أعمال التحرير أو الحرب الاستقلالية أو الحرب الوقائية وإذا ما قارنا تعريف الإرهاب باشتراط أن تكون الأفعال المكونة له قد ارتكبت كعدوان على دولة أخرى فإننا بذلك نوجد تبريرًا لفعل أو أفعال غير مبررة فى ذاتها، واستبعاد العدوان من التعريف فى الإرهاب يقابل استبعاد العدوان من صور الصراع الأخرى.

# الإرهاب محلياً.. ودولياً

إن فيما قدمناه من تعريف للإرهاب يدعونا ذلك إلى أن ننظر إلى أشياء فى داخل الوطن الواحد «مدى العلاقة بين الحاكم والمحكومين».

ويقصد بالدولى ما يكون بين الدولة وجارتها.

فإذا ما نظرنا إلى الإرهاب فى داخل الوطن الواحد فإننا نقف أمام نقاط أهمها:

**١ - الاضطرابات الداخلية:**

وتتم هذه الاضطرابات بطريق التلقائية أو العفوية. فهى عنف سياسى غير منظم الغرض منها تحقيق أهداف متواضعة حيث تعبر بعض الجماهير من موقف يسخطون عليه إزاء حالة لا ترضيهم أو قرار معين يغضبهم ويتمثل

ذلك فى هياج شعبى يكون من ورائه أعمال للشغب والتخريب.

٢ - الحرب الأهلية:

وهى أن أهالى الوطن الواحد ينقسمون على أنفسهم ويقومون بعمل شغب وعصيان وتمرد.. وكل طرف يسعى لتحقيق أغراضه مع احتفاظ كل طرف بمنطقة جغرافية يسيطر عليها بكل ما فيها مع السعى لضم القوات المسلحة إليه. ولعلنا نذكر فى هذا المقام لبنان وما حل بها من خراب وتشاد وما حل بها وغير ذلك كثير.

والحرب الأهلية هى تعطيل لكل مرافق المجتمع وشل لحركته التقدمية.

٣ - الانقلاب:

وهو نشاط سرى ينشأ فى ذهن جماعة من الناس يحاولون الاتصال بعناصر معينة ذات مراكز حساسة فى الدولة ويقنعونهم بوجهة نظرهم فى الحكم وما أحاط به من قصور فى الأداء وتعفن فى الجهاز الداخلى وعدم القدرة على تحقيق مطالب الجماهير وقد يمتد هذا

النشـاط فـتـرة من الزمن إلى أن يصل إلى مـا يريد من تجنيد الشخصيات التى يريدها حتى يستطيع تغيير الحكم القائم وفرض النظام الذى كان هو هدف الانقلاب.

٤ - الثورة:

صراع يعتمل فى نفس الأشخاص ويشمل جبهة عريضة من الجمهور لأنهم يرون أن نظام الحكم القائم أصبح من الفساد والخلخلة ما يستوجب إزاحته عن قيادة الوطن وتعتمد الثورة دائمًا على القوات المسلحة باعتبارها الدرع الواقى للوطن والمواطنين والثورة تشارك فيها أعدادًا غفيرة من المواطنين لإحساسهم بالظلم الذى وقع عليهم وإهدار الحريات وفتح السجون والقصور فى الخدمات الأمر الذى يجعل كل مواطن يعيش على درجة من الغليان يكون عنده استعداد للمشاركة إذا ما دعى الداعى ونادى المنادى أن «حى على الجهاد».

أما الإرهاب الدولى، فيمكن تصوره كالآتى:

١ - حرب محدودة:

وتقع بين دولتين متجاورتين أن يفصل بينهما بعض الدول الأخرى ويكون مسرح العمليات فيها منطقة معينة..

وما أخبار حرب ليبيا وتشاد عنا ببعيد وإيران والعراق وكوريا الجنوبية والشمالية وفيتنام وغيرها.

٢ - حرب عالمية:

وتنشب هذه الحروب بين الدول العظمى وكل دولة تؤيدها دول؛ لذلك تمتد مسارح العمليات الحربية لمناطق كثيرة فى العالم.

٣ - الحرب المدمرة:

إن العالم الذى نعيش فيه الآن عالم ثورة فى الاتصال بين الدول عن طريق الأقمار الصناعية والتجسس وما شاكل ذلك. والإعلام وهو أخطر من كل شىء لأن الجواسيس يختبئون تحت علم الإعلام ويستكشفون كل شىء فى الدول لذلك لا يستبعد أن تكون هناك حروب نووية تشمل دول العالم كله لأن التدمير والتخريب والضرر سيصيب الجميع سواء كانوا طرفًا فى النزاع أم لا: فإن العالم المعاصر مهدد بحرب نووية لا تبقى ولا تذر.

وإذا كانت الحروب قد ظلت منذ بدء التاريخ هى الوسيلة التى تلجأ إليها الدول لحل منازعاتها أو تحقيق أطماعها إذا فشلت الدبلوماسية فى الوصول إلى تلك

الحلول. وإذا كان الأمر كذلك فإن خطورة الإرهاب الدولى أصبح الآن أحد أساليب العنف السياسى لأنه لا يحكمه قانون وليست له قواعد فهو يمكن استخدامه بغير حدود الأمر الذى يجعل الدول تفكر فى مصيرها لأن الإرهاب إذا سيطر قد نصل إلى الحرب النووية. وعندئذ لا ينفع الندم لأن التفاوت هائل بين القدرة العسكرية والقدرة القومية لدى طرفى الصراع الأمر الذى يستحيل معه الدخول فى مواجهة عسكرية بين دولتين بينهما تفاوت خطير فى المعدات. ومن ثم لا يجد الطرف الضعيف سوى الإرهاب بديلاً عن الحرب التقليدية وقد ينجح هذا الأسلوب فى إجبار الطرف القوى على تعديل سلوكه السياسى. وقد تأخذه العزة بالإثم فيبدأ فى فرض قوته واستعمال عضلاته وهنا تكون الطامة الكبرى على العالم أجمع.

ولعلنا نذكر ولا يغيب عن بالنا السبب الأول فى قيام هيئة الأمم المتحدة ومنظماتها سواء مجلس الأمن أو محكمة العدل الدولية - حيث تم إنشاء ذلك بعد تدمير مدينتى (هيروشيما ونجازاكى) باليابان بالقنابل الذرية ولولا لطف الله لفنى العالم أجمع آنذاك.

**الفرق بين حرب العصابات والإرهاب:**

إن الإرهاب وحرب العصابات يشتركان فى أن كلاً منهما يستهدف تحقيق أغراض سياسية. وإذا كان الإرهاب لا يسعى إلى نصر عسكرى وإنما مهمته فى المقام الأول التدمير النفسى للخصوم ولكن حرب العصابات هى حرب منظمة أحد أطرافها جيش له قدراته وإمكانياته الطرف الآخر عصابات تسعى إلى تحقيق ما تصبوا إليه من نصر وهى تتخذ الجبال والأدغال مسرحًا لعملياتها ولا ترفض الإرهاب وإنما تأخذ منه بتحفظ وكثيرًا ما تكون حرب العصابات ضد مستعمر أو غاز، وهى عادة يكون لها نظام داخلى وعلم تحارب تحت لوائه ومن يقع من أفراد العصابات أسيرًا فى يد الفريق الآخر يعامل وفقًا للقانون الدولى على أنه أسير حرب.

وهذه الأمور لا يمكن تطبيقها على الإرهابى.

# الدكتاتورية

هى أن يتسلط فرد أو أكثر على مجموعة من الناس تعيش فى قرية أو مدينة أو وطن والذى يفرض رأيه على الناس تكون وراءه قوة منظمة تحمى كيانه وتنفذ كلامه وتبطش بمن يعترض وبذلك يدخل الرعب فى نفوس الآخرين.

ومن هنا فإن العنف الذى تمارسه بعض الحكومات الديكتاتورية يكاد يفوق فى أثره بالنسبة لما يحدثه من رعب فى نفوس الناس ذلك القدر من الخوف الذى تهدد به المجموعات الإرهابية أمن المواطنين.. وإذا كانت المنظمات الإرهابية.. مهما كانت.. محدودة الأثر نسبيًا فى حياة الناس.. بينما يمتد بطش الحكومات الديكتاتورية إلى مصائر أفراد الشعب جميعًا ويتحكم فى أسلوب حياتهم

وعملهم وعلاقاتهم.. ومن ثم فإن الرعب الذى يثيره الحكم الديكتاتورى هو رعب شامل وعام ومؤثر فى أدق تفاصيل حياة الإنسان خاصة وأن صور العقاب الوحشية التى تمارسها بعض الحكومات الديكتاتورية تقمع فى الناس مجرد التفكير أو ورود خاطر المعارضة أو الانتقاد للأوضاع السياسية - وكثيرًا ما تلجأ تلك الحكومات التى تمارس حكم الديكتاتورية إلى الأخذ بالشبهة بل وتتخذ أساليب الإرهابيين أسلوبًا فى معاملاتها للمعارضين لحكمها مثل التصفية الجسدية أو الاختطاف بل تجاوزت ذلك مثل أساليب السحل والسجن فى الأقبية تحت ظروف غير إنسانية وعمليات الحرق فى الأفران؛ لذلك فإن الديكتاتورية هى عمل إرهابى لكنه مقنن بقوانين تسبغ لهؤلاء الناس أن يفعلوه. وتنكل بخصومها السياسيين عن طريق فرض عقوبات قاسية وتجعل لسلطات الضبط وأجهزة الأمن صلاحيات واسعة النطاق.

فالإرهاب والديكتاتورية ما هما إلا مجموعة سياسية صغيرة العدد تستطيع من خلال إشاعة الخوف والرعب بين الناس أن تحوز قدرًا هائلا من القوة والتأثير لا يتناسب مع حجمها العددى ونسبتها إلى مواطنى

الدولة... فحالة الخوف وإثارة الرعب يشيع ذلك بين الأفراد والجماعات فتكون الاستكانة والرضوخ لأن الأفراد يرون الوسيلة التى تستخدم لإحداث ذلك التأثير شديدة الأثر فى حياة الناس.

ويؤثر ذلك فى السلوك العام لمن يوجه إليهم ذلك التهديد.

إن بعض الدول التى تتخذ الديكتاتورية حكمًا لها هى من جانبها تدعم الإرهاب وتقويه فى إطار صراعها مع دولة أخرى أو هيمنتها على مرفق عام بل قد تمارس هى الإرهاب لأنه يعتبر صورة من صور الصراع فى العلاقات السياسية، وعندما نقول ذلك ننظر إلى ما يجرى فى المخيمات الفلسطينية حيث تقوم إسرائيل بجانب إرهابى وتساعدها بعض الفئات أو الدول الأخرى من الجانب الآخر - وما يجرى على أرض تشاد من جانب ليبيا وما يجرى هنا وهناك من أطراف العالم فالمنظمات المتحالفة تعمل لحساب دولة تنفق عليها وتظلل عليها بالمظلة الواقية سواء بالدفاع فى المحافل الدولية أو التمويه على الدول الأخرى.. إن الإرهاب ما هو إلا نمط خاص من أنماط

العنف السياسى.. ومن ثم يجب ألا يختلف وصورة العنف الديكتاتورى أو الحكم الغاشم الذى تمارسه بعض الدول ضد رعاياها.. وعكس ذلك لنوع من الإرهاب قد يكون هو الكفاح بعينه لتحرير وطن مغتصب أو مناوءة حاكم جائر لذلك علينا أن نميز فى الحكم بين دولة تمارس الإرهاب وتحميه ومنظمة تمارس الإرهاب ضد أعداء الوطن والعمل على تحرير رقعة غالية على من ينضوون تحت لواء تلك المنظمة.

# وقفـــة

إن تلك الصورة التى قدمناها وبينا فيها أن فرقًا كبيرًا بين ديكتاتور يفرض رأيه بالقوة ويشيع الرعب والخوف بين المواطنين.. وقد يتخذ الإرهاب لنفسه سلاحًا يستخدمه ضد أعدائه السياسيين المناوئين له فى الحكم.. وبين منظمة تعمل لتحرير وطنها المغصوب ورفع الظلم عن أبناء ذلك الوطن ورفع راية العزة والكرامة على هذا الوطن.

الإسلام الذى نؤمن به... عقيدة وشريعة يرفض النوع الأول ولا يرضى به لأن الإسلام أقام حكمه على الشورى وهى أن يكون لكل فرد فى الوطن رأى فى الدستور والقانون وعند اختيار الحاكم وكل فرد له حرية التعبير عن رأيه بصورة لا تخدش الحياء ولا تتعرض للآخرين بالسخرية والاستهزاء وفى هذا الصدد قال الله تعالى:

﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ﴾(١).

وقال تعالى:﴿وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾(٢).

والإسلام نبه على الشورى فى الآيات المكية أى فى بدء الرسالة الإسلامية ليعلم الناس أن الإسلام يقيم حكمه وأمره على الشورى وتبادل الرأى وأنه لا يرضى بحكم الفرد مهما كان لأنه قد يخطئ ويحسب خطأه على الأمة وتتحمل الأمة وزر ذلك... ولقد كان الرسول ﷺ يشاور أصحابه فى أدق الأمور بل كان يشاورهم فى بعض الأمور التى تتعلق ببيته... وما من عمل أقدم عليه الرسول صلى الله عليه وسلم إلا واستشار وكان يترك رأيه أحيانًا وينزل على رأى الصحابة ما لم يكن هناك وحى إلهى فى قرآن يتلى ويستمع الناس إليه ولقد عبر أحد الشعراء عن هذا المعنى فقال:

---

(١) الآية ١٥٩ من سورة آل عمران.
(٢) الآية ٣٨ من سورة الشورى.

أمر الجماعة لا تشقى البلاد به

وحكم الفـــرد يشـــقـــيـــهـــا

فـالإسـلام إذًا يرفض الديكتـاتورية ويرغب الناس فى الشورى ويحثهم عليها لأنها ممارسة ديمقراطية فى أعلى أساليب النظم التى عرفتها الإنسانية من خلال وحى الله وهدى رسوله الكريم.

أما الأمر الثانى وهو ما يتعلق بالمنظمات التى تدافع عن كيان وطنها وتريد رفع الذل والعار عن بنى جنسها فإن الإسلام يبارك هذا النوع لأن الحق يقول:

﴿فَمَنِ اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ﴾(١).

ويقول:

﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾(٢).

ويقول فيمن يرضى الذل ويستكين للهوان ويجلس فى وطن تهدر فيه كرامة البشر ويضيع حق الإنسان الذى

(١) الآية ١٩٤ من سورة البقرة.
(٢) الآية ٣٩ من سورة الحج.

يعامل معاملة الحيوان وقد رضي بذلك واستكان فإنه يؤنب وفى هذا جاء قول الحق سبحانه:

﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُوْلَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا (٩٧) إِلاَّ الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلا يَهْتَدُونَ سَبِيلاً (٩٨) فَأُوْلَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا﴾(١).

لم شرع الإسلام القتال؟

إن الإسلام نزل على رسول الله ﷺ وآيات صدقه واضحة فى آى الذكر الحكيم فلم يكن هناك إكراه لأحد على الدخول فى دين الله وفى هذا يقول الحق سبحانه:

﴿لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾(٢).

ويقول:

﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ﴾(٣).

---

(١) الآيات ٩٧ - ٩٩ من سورة النساء.
(٢) من الآية ٢٥٦ من سورة البقرة.
(٣) الآية ٢٩ من سورة الكهف.

ولقد مكث الرسول صلى الله عليه وسلم فى مكة ثلاث عشرة سنة يدعو إلى دين الله ويصيبه من الأذى ما يصيبه وأصحابه وهو محتمل وصابر ولم يقاتل أحدًا على الدخول فى الدين بل كان الأمر قاصرًا على التبشير والإنذار ووحى السماء يقويه على الصبر أمام كل ما كان يلاقيه من أذى قريش وفى ذلك يقول الحق سبحانه:

﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ﴾(٢).

ولقد جاءت القصة فى القرآن الكريم لتحكى أنباء وأخبار من سبقوا النبى من الأنبياء والمرسلين قبله.. ولقد ازداد طغيان أهل مكة على رسول الله ﷺ والمسلمين مما ألجأهم إلى الهجرة إلى الحبشة مرتين فرارًا من الأذى ثم كان التآمر من أهل مكة على قتل رسول الله ﷺ والتخلص منه فأذن له بالهجرة مع أصحابه لأنه لم يؤذن له قبل ذلك. ولقد هاجر رسول الله ﷺ واستقر به المقام فى المدينة وبدأ ينشر دين الله. لكن المشركين اعترضوا وأرادوا أن يطفئوا نور الله بأفواههم فشرع القتال دفاعًا عن النفس ودفاعًا عن العقيدة ودفاعًا عن الأوطان وفى هذا جاء التصريح بقول الحق سبحانه:

---

(١) الآية ٣٥ من سورة الأحقاف.

﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ﴾(١). بل جاء التصريح فى تنبيهات محددة للمسلمين بأنهم لا يصدر منهم اعتداء على أحد وإنما هو دفاع قال تعالى: ﴿فَمَنِ اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ﴾(٢).

وقول الحق سبحانه: ﴿فَإِن قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَذَٰلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ ﴿١٩١﴾ فَإِنِ انتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٩٢﴾ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنِ انتَهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ﴾(٣).

ويتبين من هذا أن الإسلام لا يحب ولا يرغب فى سفك الدماء ويريد للإنسانية أن تعيش فى أخوة ومحبة كل يمارس حياته فى أمن واستقرار لا عنف ولا إرهاب ولا تطرف فكرى وإنما دعوة إلى الله فمن سمع بها واستجاب فله الحسنى وزيادة وإذا لم يكن ذلك فيكفينا قول الحق سبحانه أكبر دليل على ما نقول:

---

(١) الآية ٣٩ - ٤٠ من سورة الحج.
(٢) الآية ١٩٤ من سورة البقرة.
(٣) الآيات ١٩١ - ١٩٣ من سورة البقرة.

﴿لكم دينكم ولى دين﴾(١).

إن الدين لله شرعه لعباده وبسط فى القرآن ما يجب على كل مسلم أن يفعله والدعوة عامة وللعقول أن تفكر..

﴿ مَنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا﴾(٢).

إن رسول الله ﷺ كان يحرص أشد الحرص على هداية بعض الأفراد لحاجة اجتماعية وظروف تتطلب تلك العناصر ليكون التأييد للدعوة حتى يتمكن من نشر مبادئها ومع ذلك لم يتحقق ذلك ونزل قول الحق سبحانه:

﴿إِنَّكَ لا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ ﴾(٣). وقوله: ﴿أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِين﴾(٤).

مما يدل على أنه لا يجوز لأى إنسان أن يمارس الضغوط النفسية أو الصلات الاجتماعية أو علاقة القربى ليكون هناك إكراه على الدخول فى الدين وإنما الإسلام يقول للرسول ﷺ:

---

(١) الآية ٦ من سورة الكافرون.

(٢) الآية ١٥ من سورة الإسراء.

(٣) الآية ٥٦ من سورة القصص.

(٤) الآية ٩٩ من سورة يونس.

﴿إِنْ أَنتَ إِلاَّ نَذِيرٌ﴾[1] ويقول سبحانه:
﴿إِنْ عَلَيْكَ إِلاَّ الْبَلاغُ ﴾[2].

وإذا كان أعداء الإسلام يريدون تشويه الحقيقة التى يعرفها كل من له أدنى معرفة بالإسلام وهى أن مبادئ الإسلام تحترم الشخص وتحترم كيانه وتعلن أن الإنسان مكرم إذا استعمل عقله ووصل نفسه بخالقه وإن الإسلام لا يرفع السيف للإكراه ولا يتخذ الحرب غاية لتحقيق هدف معين أو فرض سلطة فذلك أمر مرفوض لأن الإسلام سماحة ويسر ولين فى دعوته. حكمة فى أقواله لا يريق الدماء ولا يرضى بها أبدًا إلا إذا أكره معتنقوه دفاعًا عن عقيدتهم وأنفسهم. فالذين يزعمون أن الإسلام يحب الحرب ويعمل لها ويخطط. كل ذلك أمر مرفوض لعدم ثبوتِ وصحة ما يقولون.

---

(١) الآية ٢٣ من سورة فاطر.
(٢) الآية ٤٨ من سورة الشورى.

# أدب الدعوة

إن أدب الدعوة إلى الله ومنهجها ليس من وضع أحد من البشر حتى الأنبياء والرسل فهم ليسوا إلا منفذين لوحى السماء من لدن الله سبحانه الذى استأثر وحده به. فليس للدعاة إلى دين الله إلا أن يعملوا فى نطاق هذا المنهج ولا يخرجوا عليه وعليهم أن يلتزموا بأدب الدعوة من الحكمة التى تحكم الأمور وتضعها فى نصابها وتستعمل كل شىء فى مكانه الصحيح ويلبس لكل حال من أحوال الدعوة لبوسها وتزينها فى ظروفها وملابساتها بميزانها الصحيح دون تزيد أو انتقاص ومن غير تهوين ولا تهويل ثم يواجهها بما يناسبها من أساليب الدعوة وطرائق عرضها وما يتسق معها من منهج الحق فإذا اقتضى الأمر عظة تخاطب القلب والوجدان والعواطف فليكن فى مادتها وقوتها

وبلاغتها ورعايتها لمقتضى الحال وحسب أدائها وحينها وحجمها ومستواها ومستوى من توجه إليه، لتكن فى ذلك كله مطابقة تمامًا لا تنبو ولا تشذ ولا تجرح ولا تقدح وإلا فقدت مفعولها وعدمت ميزتها واستحالت من عظة تخشع القلوب لجلالها ومناها إلى ألفاظ فجة ميتة فارغة خلت من مضمونها لا تستهدف فحسب سوى التشهير والإثارة والتنفيس البعيد كل البعد عن التقويم والتوجيه والتربية والاعتدال.

إن سبيل الدعوة إلى الله حكمة واتزان والتزام واعتصام بالعقل واحترام للمنطق واستصحاب للحلم والرفق والأناة والتريث ثم هى نفاذ إلى القلوب وإقناع للعقول وبصر، بالأمور واختيار لأنسب الصور والأزمنة والأساليب التى توصل إلى الغاية من أقرب طريق وبحيث تتغلغل إلى القلوب والنفوس والعقول بعد إعمال الذهن وإجالة الفكر وتحكيم المنطق وإتيان الحق وتجنب الهوى والأنانية والميل والغرض.

إن الدعوة تستوجب إنصاف الخصم والروية معه ومنحه فرصة من الوقت للتفكير والتدبير والتروى وتبادل الرأى

والمشورة. وهذه ميزة امتاز بها الإسلام حين أوجبها على الرعاة وجعلها من آدابهم مهما كان الخصم قاسيًا وفظًا وعنيفًا وغليظًا وجبّارا ومتكبرًا فلا يجب على الداعية سوى أن يؤدى إليه ما كلف من دعوة الحق فى برهان وحجة وفى لين وحكمة وفى هدوء وروية وفى بصيرة ويقظة وكياسة وفطنة مع استخدام كل الطاقات المتاحة والملكات الممكنة فى الإقناع والإلزام والدعوة وضرورة التركيز على تحريك العقل ومس العواطف واستثارة الوجدان نحو الحق بصفائه ونقائه وبساطته وما يتسم به من عدل وحق وجمال.

تلك سمات الإسلام التى دعا إليها وجعلها أسلوب دعوة الداعى ونخلص من ذلك إلى أن القتال فى الإسلام شرع للأمور الآتية:

١ - الدفاع عن النفس.

٢ - الدفاع عن العقيدة إذا استهزأ بها مستهزئ أو أدخل على منهجها ما ليس فيه أو تطاول على قادتها ورجالاتها متطاول.

٣ - الدفاع عن حرية الأوطان.

والقتال فى الإسلام وسيلة لا غاية يلجأ إليها الحاكم المسلم عند الضرورة القصوى وبعد استنفاد كافة الأغراض الموصلة إلى السلم التى تحقن الدماء وتؤمن المجتمع.

ومع كل ذلك فإن الإسلام يقول لأتباعه ومعتنقيه:

«خذوا حذركم».. وتنبهوا وأعدوا أنفسكم بالقوة البدنية والقوة الروحية والقوة العددية وأعدوا عدتكم بكافة الأساليب الممكنة والأسلحة المتنوعة حتى لا يفاجأكم عدو غاشم يدوس كرامتكم ويحطم وطنكم ويهدم حضارتكم ويستبيح أعراضكم فعليكم أن تدربوا أولادكم وشبابكم على فنون القتال وأنواع الأسلحة بكل ما يصل إليه العقل البشرى فى أى زمان:

﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾(1).

ولنتأمل فى قول الله ترهبون به: لم يقل لتبدءوا أو تعتدوا أو تمارسوا القتال مع غيركم كل ذلك لم يرد وإنما جاء الأمر والتنبيه لترهبوا. فإن من سولت له نفسه أن

---

(1) الآية ٦٠ من سورة الأنفال.

يعتدى على وطن المسلمين أو يتطاول على عقيدتهم أو يسخر من قادة الفكر الإسلامى فهو يخاف لأنه يعلم أن فى العرين أسودًا .. وأن الأسود لها أنياب ومخالب وأظافر تطول كل باغٍ أثيم أو مجرم معتدٍ أو سفيه متطاول.

هذا هو الإسلام حجته قرآن يتلى.. لا سيف يرفع. دعوته سماحة وفى الوقت نفسه قوة فى غير عنف ولين فى غير ضعف. فالمؤمن القوى خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف.

إن الله الذى خلق عباده هو وحده الذى يعلم تكوينهم وصياغتهم ويعلم طاقاتهم واحتمالهم ومدى قدراتهم واستعداداتهم وهو وحده سبحانه الذى أنزل الحق وما جاء دين الله الذى أنزله على قلب رسوله إلا مطابقًا لسنن الفطرة فى تكوين الشخص. لذلك جعل الدعوة إلى الله فيها يسر وسهولة ولين ورفق حتى لا يكون هناك تعنيف ولا إرهاب وحتى لا يقع الشخص تحت ظروف الإكراه فيمارس عبادته بثقل على النفس وهموم على الفكر وتباطؤ فى الحركة وإنما نلحظ أن الإسلام ينادى على الإنسانية بأسرها بقول الحق سبحانه: ﴿فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِى وَقُودُهَا النَّاسُ

وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾[1].

وقوله:

﴿ولا تلبسوا الحق بالباطل وتكتموا الحق وأنتم تعلمون﴾[2].

وعلى هذا نرى أن الاسلام يقول لأتباعه ومعتنقيه:

﴿وقولوا للناس حسنا﴾[3].

ويقول:

﴿ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة﴾[4].

هذا هو الاسلام لا إرهاب ولا ديكتاتورية ولا استبداد ولا حب فى إراقة الدماء وإنما هو عدل وشورى وتبادل للرأى وحب للخير ونشر لأولوية الأمن ودعوة إلى السلام فى رفق ولين وإخاء.

**الرؤية الدينية للإرهاب:**

إن الإسلام يحث أتباعه على أن تسود حياتهم المحبة والأخوة لأنه إذا كان يوم القيامة نادى مناد من قبل الحق عز وجل فيقول:

---

(١) الآية ٢٤ من سورة البقرة. (٢) الآية ٤٢ من سورة البقرة.
(١) الآية ٨٣ من سورة البقرة. (٤) الآية ١٢٥ من سورة النحل.

**أين المتحابون فيَّ؟. أين المتزاورون فيَّ. أين المتجالسون فيَّ. اليوم أظلهم بجلالي يوم لا ظل إلا ظلي..**

وهذا حديث قدسي لابد أن تكون له المكانة العالية في نفوس المسلمين فيعملون بما يشير إليه.. أي أن يحب المسلم المسلم لله وأن يكون لقاؤه به في الله وأن تكون الابتسامة على وجه كل واحد من المسلمين لأنه كما جاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم:

**«تبسمك في وجه أخيك صدقة».**

إذا كان الأمر كذلك فإن على المسلم أن يتحدث إلى إخوانه المسلمين بقلب مفتوح وصدر واسع وإخلاص في الكلام... ومع غير المسلمين كذلك لأن المسلم يعيش في الدنيا بوجه واحد.

والصدق فضيلة رغب فيه الإسلام وحث عليه فإن الكذاب ملعون في الدنيا والآخرة.. ثم هناك جدل ينشب بين الناس وكل شخص يريد أن يسبق إخوانه في الجدل وأن يتغلب على غيره والرسول عليه الصلاة والسلام أمرنا بترك الجدل لأنه يؤدي إلى الخصام والهجر. ومن وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم:

«لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث. يلتقيان فيعرض هذا ويعرض ذاك وخيرهما الذى يبدأ غيره بالسلام».

والرسول عليه الصلاة والسلام يقول:

«لا تدابروا ولا تقاطعوا وكونوا عباد الله إخوانا».

والقرآن الكريم يحثنا على ترك الجدل لأنه كما قلنا يؤدى إلى الخصام والتقاطع ويؤدى إلى التطرف فى الفكر لهذا يقول الحق سبحانه:

﴿وَلا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾[1].

ويقول سبحانه:

﴿لا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلاَّ مَن ظُلِمَ﴾[2].

وإذا كان الإسلام قد أمرنا بترك الجدل لأنه يؤدى إلى التطرف الذى يؤدى إلى الإرهاب سواء كان إرهابًا فكريًا أم جسديا فإن الإسلام يمقته ويحرمه لأن ترويع المسلم ظلم عظيم.

---

(١) الآية ٤٦ من سورة العنكبوت.

(٢) الآية ١٤٨ من سورة النساء.

فعن النعمان بن بشير رضى الله عنهما قال: كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مسير فخفف رجل مع راحلته فأخذ رجل سهمًا من كنانته فانتبه الرجل ففزع فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يحل لرجل أن يروع مسلمًا.

وروى عن عامر بن أبى ربيعة رضى الله عنه أن رجلاً أخذ نعل رجل فغيبها وهو يمزح.. فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: لا تروعوا المسلم فإن روعة المسلم ظلم عظيم.

كذلك ما روى عن أبى الحسن قال:

كنا جلوسًا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقام رجل ونسى نعليه فأخذهما رجل فوضعهما تحته فرجع فقال: نعلى.. فقال القوم.. ما رأيناهما.. فقال: هو ذه فقال: فكيف بروعة المؤمن فقال يا رسول الله إنما صنعته لاعبًا فقال الرسول صلى الله عليه وسلم فكيف بروعة المؤمن.

والمتأمل فى هذه الأحاديث وكلها أحاديث حسنة يرى أن الرسول صلى الله عليه وسلم ينبه على أن روعة المسلم

ظلم عظيم والتروع هو إدخال الخوف على نفس الشخص.. والقــرآن الكريم أكــد على أن الشــرك بالله ظلم عظيم. فالمقارنة بين إدخال الخوف على قلب المسلم يخلع الإيمان من قلب الشخص الذى تسبب فى تخويف المسلم مما يؤدى إلى منزلة الشرك بالله.

ولقد روى عن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما قال:

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من نظر إلى مسلم نظرة يخيفه فيها بغير حق أخافه الله يوم القيامة.

وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:

لا يشـيـر أحدكم إلى أخـيه بالسـلاح فإنه لا يدرى لعل الشيطان ينزع فى يده فيقع فى فوة من النار.

ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم **إذا المسلمـان حمل أحدهما على أخيه السلاح فهما على حرف جهنم فإذا قتل أحدهما صاحبه دخلاها جميعًا قال فقلنا يا رسول الله هذا القاتل فما بال المقتول. قال: إنه أراد قتل صاحبه.**

كما روى البخارى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: سباب المؤمن فسوق وقتاله كفر.

تلك نصوص أوردناها حتى يكون المؤمن على بينة من أمر دينه لأنه لا يحل لمسلم مهما كان أن يروع مسلمًا أو يتهمه بالكفر أو الزندقة لأن ذلك ليس من الإيمان فى شىء وإنما الإيمان أن تحب للناس ما تحب لنفسك فليس البر أن تصلى وتصوم وتلعن الناس وتتطاول عليهم فإن صلاتك لا ثواب لها وما قدمته من أى عمل لا ثواب له لا بإذائك للمسلمين واتهامك إياهم بالكفر والفسوق وصدق الله العظيم:

﴿وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنثُورًا﴾(١).

وقول الحق سبحانه:

﴿ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾(١).

وليس هذا الأمر ينسحب على المسلم فقط بل على المعاهد كذلك فلقد جاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم كما رواه البخارى:

---

(١) الآية ٢٣ من سورة الفرقان.

(٢) الآية ٥٨ من سورة الأحزاب.

**«من قتل معاهدًا لم يرح رائحة الجنة وإن ريحها يوجد من مسيرة أربعين عامًا».**

إن الإسلام دين السماحة كما أنه دين العزة فهو يزيد العزيز عزًا.. ويأخذ بيد الذليل ويسمو به إلى مقام العزة والكرامة والشرف ومن ثم فلا يقبل من البشر تحت لوائه إلا أن يكونوا سادة أماجد فكيف يسوغ منه أن يستذلهم بالقهر أو الضغط؛ ولذلك رأينا الرسول صلى الله عليه وسلم ينهى عن استحلال عرض امرئ مسلم تحت أى ظروف فلا يليق بالمسلم أبدًا أن يتهم أخاه فى خلقه أو دينه أو عرضه اللهم إلا إذا قامت البينة وشهد شاهدًا عدل برؤية عين وحدثا الناس بذلك بعد تقديم النصيحة لأن المخطئ ربما يتوب ومن تاب تاب الله عليه.

والرسول صلى الله عليه وسلم يقول:

**«من قال لأخيه يا كافر فقد باء بها أحدهما»**. رواه البخارى.

وعند البزار أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:

**«إذا قال الرجل لأخيه يا كافر فهو كقتله»**.

**وفى حديث آخر:**

إن رسـول الله صلى الله عليـه وسلم قـال لأصـحـابه: **أتدرون أربى الربا عند الله؟**

**قـالوا: الله ورسـوله أعلم.. قـال فـإن أربى الربا عنـد الله استحلال عرض امرئ مسلم.**

ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم:

﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾(١).

حديث رواته رواة الصحيح.

وروى أبو داود عن عـائشـة رضى الله عنهـا أنه اعـتلى بعيـر لصفـيـة بنت حيى.. وعند زينب فضل ظهـر.. فقال النبى صلى الله عليه وسلم لزينب: اعطيها بعيرك.

فـقـالت: أنا أعطى تلك اليـهـودية؟. فـغـضب رسـول الله صلى الله عليه وسلم فهـجـرها ذا الحـجـة والمحـرم وبعض صفر.

إذا كـان كل ذلك قد جاء عن صاحب الرسـالة والداعى الأول إليها. أفيليق بنا أن نكفر بعضًا كمسلمين وأن نهجر

(١) الآية ٥٨ من سورة الأحزاب.

بعضًا ونحن أصحاب رسالة واحدة قبلتنا واحدة وقرآننا واحد وربنا واحد ونبينا واحد وآيات القرآن تتلى بين أظهرنا:

﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾(١).

لقد أوقع الغلو والتشدد والتطرف والعنف مشركى مكة تحت وطأة الهوى فتلاعبوا بالقيم وعبثوا بالنظم الحميدة التى بقيت لهم من دين الله تعالى والتى كان بها عزهم ومجدهم وراحتهم وأمنهم. بل إن الغلو والتشدد دعاهم ذلك إلى التطاول على مقام الخالق فقسموا ما سخر لهم من الرزق بينه سبحانه وبين شركاء اختلقوها من عند أنفسهم واختصوها بالنصيب الأوفر والحظ الأكبر ﴿فَقَالُوا هَذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَذَا لِشُرَكَائِنَا فَمَا كَانَ لِشُرَكَائِهِمْ فَلا يَصِلُ إِلَى اللَّهِ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَىٰ شُرَكَائِهِمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾(٢)

ولم تقف نتائج الغلو والتشدد بالمشركين عند هذا الحد بل جفت فى قلوبهم ينابيع الرحمة وعادت على طبائعهم

---

(١) الآية ١٠٣ من سورة آل عمران.
(٢) الآية ١٣٦ من سورة الأنعام.

بالفظاظة والغلظة فقتلوا أولادهم سفهًا بغير علم وحرموا ما رزقهم الله افتراء على الله:

﴿ وَقَالُوا مَا فِي بُطُونِ هَذِهِ الأَنْعَامِ خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَىٰ أَزْوَاجِنَا وَإِن يَكُن مَّيْتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَاءُ سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ (١٣٩) قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلادَهُمْ سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ افْتِرَاءً عَلَى اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾(١).

لقد دعاهم الغلو والتطرف والتعصب إلى تعقب ما بقى من معالم الشريعة فطمسوها وأضاعوا وفرطوا فى أوامر الله ولم يبق لهم حظ من موروثاتهم إلا التقليد الأعمى ومحاكاة الأبناء للآباء محاكاة تنبىء عن فقدان الرشد والانغماس فى الغى وكان هذا السواد الحالك الذى قادهم إليه الغلو والتشدد إيذانًا بضياع مجدهم وانطماس حضارتهم.. لولا أن أذن الله بفجر جديد هو ميلاد سيد المرسلين.

وصدق الله العظيم:

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَ لَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلا يَهْتَدُونَ﴾(١)

---

(١) الآيتان ١٣٩، ١٤٠ من سورة الأنعام.

إن المشـركـين كـانـوا يأخـذون مظاهـر الغلو من اليـهـود الذين أظهروا هذا النوع من التطرف الفكرى فى الأحاديث والغلو والتشـدد كـمـا فى القـرآن الكريم. ونأخـذ من ذلك الآيات ٦٧ إلى ٧٣ من سورة البقرة يقول الله فيها:

﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴿٦٧﴾ قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَٰلِكَ فَافْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ ﴿٦٨﴾ قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوْنُهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا تَسُرُّ النَّاظِرِينَ ﴿٦٩﴾ قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّا إِن شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا ذَلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَّا شِيَةَ فِيهَا قَالُوا الْآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ ﴿٧١﴾ وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٧٢﴾ فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَٰلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾(١).

ونأخذ من القصة التشدد الذى أوقعهم فى الجدل الذى أوقعـهم فى الخطأ لأنهم شـددوا على أنفسهم فشـدد الله

---

(١) الآية ١٧٠ من سورة البقرة.

عليهم وما أقبح الغلو وما أخطر الشطط حيث يقود ذلك إلى أخطاء ومخالفات تمس العقيدة وتودى بها وهذا المثل فى التطرف والخروج على أدب الحوار مع نبى الله أدى بهم إلى مخالفات خطيرة لأوامر الله ولقد قال الرسول صلى الله عليه وسلم فيما رواه البخارى:

«قيل لبنى إسرائيل ادخلوا الباب سجدًا وقولوا حطة فدخلوا يزحفون على استاهم فبدلوا وقالوا حطة حبة فى شعره».

إن تاريخ العرب حفل فى جاهليتهم بصور ومظاهر للغلو فى أخذهم وعطائهم ومطعمهم ومشربهم وبيعهم وشرائهم وسائر شئون الحلال والحرام لديهم وكم كان للعرب من الغلو والانحراف فى شئون الأسرة وأمور الزواج من حيث كانوا يجمعون فى زواجهم بين المحارم، الأمر الذى يؤدى إلى فساد العلائق وقطع الأرحام وتمزيق المجتمع. ومن أوضح مظاهر الغلو والتشدد فى تلك الأوضاع التى كانت تسود العالم قبل الإسلام حرمان المرأة وتجريدها من كل معانى الإنسانية لدرجة أنها كانت تعد فى بعض الأحيان

---

(١) الآيات من ٦٧ . ٧٣ . من سورة البقرة.

سلعـة تبـاع وتشـتـرى ومـتـاعًـا يملك ويورث فـهم كـانوا لا يقـيـمـون للمـرأة وزنًا ولا يعـرفـون لهـا قـدرًا لدرجـة أنهم سلبوها حقها فى الحياة.

فلقد روى أن أهل المدينة فى الجاهلية وفى أول الإسلام كـانوا إذا مـات الرجل وله امـرأة جـاء ابنه من غـيـرها أو قرابته من عصبته فألقى ثوبه على تلك المرأة فصار أحق بها من نفسها فإن شاء أن يتزوجها بغير صداق وإن شاء زوجها غيره وأخذ صداقها لنفسه وإن شاء أطلقها لتفتدى نفسها منه. وهكذا ترى أن التطرف ما دخل فى شىء إلا أفسده. لذلك نهى الإسلام عنه وسلك الإسلام طرقًا متنوعة فى إقناع الناس بصحته وصحة أحكامه وله فى ذلك طرائق تناسب تنوع الفطرة واختلاف الزمان والبيئة.

**وبعد:** فإن الإسلام دين الله الذى أنزله إلى البشر ليكون هديته لهم وهدايتهم إليه ومنهاجه فيهم لا يحيدون عنه ولا يتطلعون إلى سواه من حيث كان فيه غناهم عن غيره وشفاؤهم فيه وسعادتهم التى لا سبيل إلى تحقيقها فى الدنيا إلا به ثم إن هذا الدين جاء طبق سنن الله فى الفطرة ووفق نواميسه للبشر.. وقد برزت منهجية الإسلام

ووفاؤه بحاجة البشر وتلبيته لرغباتهم فيما اختطه لأمته من وسطية فى العقيدة والشريعة.. فلا تطرف ولا غلو واليسر فى العبادة فلا تشدد ولا غلو.. ثم نجده المنهاج الأقوم فى الأخلاق والسلوك وأساليب العيش فى الحياة.. وفيما أحاط به شريعته وتكاليفه وفرائضه وشتى أركانه وشعائره من يسر ومرونة وتخفيف وسماحة ورعاية لما طبع عليه البشر من ضعف وغفلة وحدود فى الإمكانات والطاقات والقدرات.

﴿ وَخُلِقَ الإِنسَانُ ضَعِيفًا ﴾(١)

إن فيما أضفاه الله على هذا الدين من يسر وسهولة تجعل اعتناقه من الأمور الحسنة لما يتسم به من روح طيبة تحوطه بأرقى وأعلى ما عرفت الحياة والأديان والمذاهب لما فيه من حرية تامة ولما يطلقه للإنسان من إرادة مطلقة واختيار كامل لأن الاقتناع به قائم على البراهين والأدلة من غير قهر على الإيمان به ولا قسر على الدخول فيه وفيما يتوخاه ويحرص عليه ويتحراه من وسائل فى الدعوة إليه وجمع البشر عليه ولفت أنظارهم نحو ما جاء به من روائع

(١) الآية ٢٨ من سورة النساء.

فى كل أفق من آفاقه وفى كل مجال من مجالاته.. وما فيه من الوسائل التى تتمثل فيما عرف من أدب الدعوة وضرورة قيامها على الحكمة واللين والبصيرة والموعظة الحسنة والجدال بالكلمة الطيبة التى تدل على سعة الصدر وسعة الأفق والعلم بموضوع الجدل.

**واليوم:** إن حال المسلمين اليوم يرثى له وهم ليسوا بحجة على الإسلام. فالإسلام هو الحجة على الجميع فالمسلم لا يرفع السيف أبدًا فى وجه المسلم إلا عند الضرورة القصوى التى أشار إليها الحق فى قوله:

﴿وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ فَإِن فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾(١).

كما أن المسلم لا يجهر بسب المسلم ولا تكفيره مادام يقول لا إله إلا الله محمد رسول الله، ونذكر أن خالد بن الوليد رضى الله عنه قتل شخصًا يقول لا إله إلا الله محمد رسول الله ولما سأله رسول الله صلى الله عليه

---

(١) الآية ٩ من سورة الحجرات.

وسلم لم قتلته وقد تحصن بهذه الكلمة فقال: لقد قالها ليحمى بها نفسه. فقال له الرسول صلى الله عليه وسلم: هلا شققت عن قلبه.

إذًا الإيمان عقيدة فى القلب يترجم عنها اللسان ومادام الشخص يردد لا إله إلا الله محمد رسول الله فلا يليق بمسلم أن يكفره ولا أن يسبه ولا يهدر كرامته ولا يغشه ولا يغتابه تحت أى ظرف من الظروف.

هذا هو الإسلام.

دين وسط يرفض العصبية ولا يرضى أن تكون مسلكا من مسالك الناس ويرفض العنف ولا يقره وينحى باللائمة على كل متعصب أو متطرف كما أنه لا يرضى بالعنف ويكرهه ويحذر أتباعه من أن يتخذوه وسيلة لتوصلهم إلى أية غاية مهما كانت النتائج.. كما أنه ينهى عن الإرهاب ولا يقره ويلعن كل من يتخذه وسيلة للوصول إلى غاية دنيئة.. وينهى عن الديكتاتورية ولا يقرها ولا يرضى أن تكون أسلوبًا للناس فى تعاملهم.

إنه دين يحب السماحة ويدعو إليها ويقول نبى الإسلام صلى الله عليه وسلم: «**رحم الله امرأ سمحًا إذا باع سمحًا**

إذا اشترى سمحًا إذا اقتضى». ويحب الرفق لأن الرفق ما دخل فى شىء إلا زانه ويقول ربنا فى القرآن الكريم:

﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ (١٣٣) الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾(١).

ويقول فى آية أخرى:

﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ (١٥٥) الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾(٢).

ويقول فى آية أخرى:

﴿وَلا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾(٣)

والقرآن الكريم حدد لنا فى كثير من الآيات ثواب كل عمل، فالحسنة بعشر أمثالها وقد تصل إلى سبعمائة درجة. لكن عندما تكلم عن مقام الصابرين لم يحدد لهم درجات الثواب ولكن فتح أبواب الخير لهم على مصراعيه فقال الحق سبحانه:

---

(١) الآيتان ١٣٣ - ١٣٤ من سورة آل عمران.

(٢) الآيتان ١٥٥، ١٥٦ من سورة البقرة.

(٣) الآية ٣٤ من سورة فصلت.

﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الأُمُورِ﴾(١).

وفى آية أخرى:

﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾(٢)

إن الفضل العظيم والثواب الكبير والعطاء بلا حدود للإنسان السمح الطيب الذى يلتقى بالناس وعلى شفتيه ابتسامة وفى عينيه علامة الرضا وتوحى نظراته بأمن واطمئنان فمن يقابله يأخذ الأمن لنفسه ويتبادل معه الحديث فى ثقة ومودة ومن هنا يقول الرسول عليه الصلاة والسلام:

«**ليس الشديد بالصرعة وإنما الشديد الذى يملك نفسه عند الغضب**».

ثم إذا كان الإسلام يحرم الإرهاب ولا يرضى به فإنه ينبه على أتباعه أن يعايشوا الناس بالسلم والمحبة فيقول الحق سبحانه لنبيه ومصطفاه:

﴿وَإِن جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾(٣)

---

(١) الآية ٤٣ من سورة الشورى.
(٢) الآية ١٠ من سورة الزمر.
(٣) الآية ٦١ من سورة الأنفال.

ويقول سبحانه:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾(١).

ويقول سبحانه:

﴿وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَانبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ﴾(٢).

فالإسلام مع دعوته إلى اليقظة التامة والحرص الدائم والتفوق المستمر فإنه لا يرضى لأتباعه أن يتصفوا بالخيانة وأن يغدروا بالناس وأن يرهبوهم فليس ذلك من أسلوب المسلمين ولا من صفاتهم.

﴿وَأَنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ﴾(٣).

حتى مع أهل الذمة والمعاهدين فلا يليق بالمسلمين أبدا أن يخونوهم أو يغدروا بهم فالحق سبحانه وتعالى يحدد تلك العلاقة بين المسلم وغير المسلم على أنها علاقة قائمة على المودة ورعاية حقوق الجوار والإنسانية فيقول الحق

---

(١) الآية ٢٠٨ من سورة البقرة.
(٢) الآية ٥٨ من سورة الأنفال.
(٣) الآية ٥٢ من سورة يوسف.

سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾(١).

ويقول سبحانه:

﴿وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَانبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ﴾(٢).

فالإسلام مع دعوته إلى اليقظة التامة والحرص الدائم والتفوق المستمر فإنه لا يرضى لأتباعه أن يتصفوا بالخيانة وأن يغدروا بالناس وأن يرهبوهم فليس ذلك من أسلوب المسلمين ولا من صفاتهم.

﴿وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ﴾(٣)

حتى مع أهل الذمة والمعاهدين فلا يليق بالمسلمين أبدًا أن يخونوهم أو يغدروا بهم فالحق سبحانه وتعالى يحدد تلك العلاقة بين المسلم وغير المسلم على أنها علاقة قائمة على المودة ورعاية حقوق الجوار والإنسانية فيقول الحق سبحانه:

---

(١) الآية ٢٠٨ من سورة البقرة.
(٢) الآية ٥٨ من سورة الأنفال.
(٣) الآية ٥٢ من سورة يوسف.

﴿لا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾(١).

كما يقول سبحانه:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا فَلا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَن تَعْدِلُوا وَإِن تَلْوُوا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾(٢).

فالمسلم لا يلوى أعنة الحقائق أبدًا ولا يعرض عن سماع الحق وإنما هو يلتزم الجادة ويسير على منهج الحق حتى ولو كان مرًا ويقول الصدق لأنه فضيلة من الفضائل وخلق رفيع. كما أن المسلم لا يدافع عن الظالم مهما كان قدره وإنما هو دائمًا مع الحق ولو كان مع عدوه.

وفى هذا يقول الحق سبحانه:

﴿إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلا تَكُن لِّلْخَائِنِينَ خَصِيمًا (١٠٥) وَاسْتَغْفِرِ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا

---

(١) الآية ٨ من سورة الممتحنة.

(٢) الآية ١٣٥ من سورة النساء.

رَّحِيمًا (١٠٦) وَلا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا (١٠٧) يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لا يَرْضَىٰ مِنَ الْقَوْلِ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا (١٠٨) هَا أَنتُمْ هَٰؤُلاءِ جَادَلْتُمْ عَنْهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَمَن يُجَادِلُ اللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَم مَّن يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلاً (١٠٩) وَمَن يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا (١١٠) وَمَن يَكْسِبْ إِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُ عَلَىٰ نَفْسِهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا (١١١) وَمَن يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئًا فَقَدِ احْتَمَلَ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾(١).

هذا هو منهج الإسلام لا إرهاب ولا مجاملة فى الحق ولا رضوح للصداقة على حساب الحقيقة. وإنما صراحة ووضوح وأمن واستقرار وصدق وإخلاص وبر ووفاء ومروءة وكرم. كل ذلك وغيره كثير من أخلاقيات الإسلام الذى دعا إليها وبين ذلك فى منهجه القويم:

**«كتاب الله الخالد الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.. من قال به صدق ومن حكم به عدل ومن دعا إليه هدى إلى صراط مستقيم».**

---

(١) الآيات ١٠٥ ـ ١١٢ من سورة النساء.

وإذا كـان الإسـلام يرفض التـعـصب والتطرف والعنف والإرهاب فإنه كذلك يرفض الديكتاتورية ويقيم مكانها الشـورى وتبادل الرأى وفى سبيل ذلك يقول لكل مسلم اسمع لرأى الآخرين وقل رأيك وإن استبان لك الحق فكن مع الرأى الصواب ولا تخرج على الجماعة لأنه من شذ شذ فى النار وليكن لك فى رسول الله صلى الله عليه وسلم أسوة حسنة إن أردت أن تعيش سعيدًا يحبك الناس ويرضى عنك الله رب العالمين.

إن الإسلام أمرنا بالصلاة لنترابط اجتماعيًا ونتآلف من خلال المسجد على المبادئ الطيبة والأخلاق السمحة وسيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقول: رحم الله امرأ أهدى إلى عيوبى. فإذا نصحك إنسان فلا تغضب منه بل عليك أن تقوم نفسك على منهج النصيحة لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:

**«المؤمن مرآة أخيه»**

ويقول:

**«الدين النصيحة. قلنا لمن يا رسول الله . قال لله ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم».**

ويقول:

**«من رأى منكم منكرًا فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان».**

فعلينا أن نقوى إيماننا وأن نهدى النصيحة إلى بعضنا بروح الحب والتقدير والصداقة النظيفة والأخوة البريئة والله يقول الحق ويهدى من يشاء إلى صراط مستقيم.

# وختامًا

إن المجتمع الإسلامى اليوم يعيش على بركان يكاد ينفجر ليحطم من فيه ومن عليه ومن حوله. فها نحن اليوم نسمع بأن سفن دولة الكويت تعبر الخليج العربى تحت حماية العلم الأمريكى وإيران التى تهدد وتعربد هنا وهناك وترسل بوابل مدافعها إلى العراق لا تنقاد لأى صوت ينادى عليها ولا ندرى ماذا تريد .. هل هى تريد أن تحطم العالم العربى وتكون بذلك سعيدة لأنها أحيت عصبية فارسية أخفى الإسلام مظاهر العصبية فيها تحت شعار المساواة؟

أم أنها تريد أن تقضى على أنصار أهل السنة والجماعة لأنها تريد للمذهب الشيعى أن يسود وتعلو رايته وتنتشر فى الآفاق مبادئه .. وإذا كان كذلك فإن العراق تدين بالمذهب الشيعى فلم تضرب فيها وتحطمها؟

أم أنها تريد أن تقضى على كل من يذكر الخلفاء الراشدين لأنها لا تريد أن يظهر اسم أبى بكر وعمر وعثمان ؟ أم ماذا تريد!!!!!

ولم تلغم الخليج وتقوم بوضع المتفجرات هنا وهناك؟!

إن ذلك أمر محير وها نحن اليوم نرى اليوم أمريكا تتحرك بحاملات الطائرات تحرسها السفن الحربية وفعلت مثل ذلك إنجلترا وفرنسا.

والكل يتجه إلى الخليج العربى. ماذا هناك؟. وأى شىء يراد بنا؟

أين المسلمون إزاء كل هذه الأحداث التى تدخل الرعب على الناس وتسكت الألسنة ويقف الكل فاتحًا فاه من هول المفاجأة؟!!

إن كل دولة مشغولة بما يجرى على أرضها .. فها هى السودان. إن ما يجرى على ساحتها أمر يحير العقول. وها هى ليبيا تثير القلاقل هنا والفتن هنا ثم تضرب فى تشاد والمغرب وما يجرى على ساحته مما تتناقله إذاعات العالم من موقفها مع البوليساريو.

وها هى لبنان. وناهيك بما يجرى فى ساحاتها وطرقها حيث ختمت فى الأيام الأخيرة بمقتل رئيس وزرائها. وياليت الأمر وقف عند هذا الحد، بل هناك طائرات تسقط بين الحين والحين والضحايا ركاب أبرياء.. ثم إن ما حدث فى ساحة الحرم الآمن والأرض المقدسة والكل قد خلع ملابسه وارتدى ملابس الإحرام وغدا الكل يهتف لبيك اللهم لبيك .. إذا بأهل إيران الذين تعرفهم ساحات الحرم الآمن يخرجون صور الخومينى من ملابسهم وبعدها الخناجر والمطاوى ثم يشعلون النار هنا وهناك!!! ياالهول المفاجأة التى جعلت كل مسلم يبكى لم آل إليه حال المسلمين؟ هل فقدنا أى شىء؟ نعم.إننا فقدنا فهمنا للدين واتخذناه وسيلة لغاية هى أن كل شخص يريد أن يتحكم فى العالم ويريد أن ينشر صورة هنا وهناك وأنه الزعيم الأوحد الذى جاء على ميعاد مع المشاكل ليخلص العالم مما آل اليه. وياليت كل واحد يفهم قدر نفسه ويتصرف على حقيقة ذاته. إن كل واحد لو دعا إلى الإسلام وتمسك بقيمه لسعدت به الدنيا وسجلت اسمه بحروف من نور على جبين الزمن لأنه قدم للإنسانية خيرًا بأن ذكرها بالله وآياته ودعا إلى الأمن والاستقرار ولكن الأسف يملأ

القلوب والحسرة تخيم فى الجتمعات الإنسانية أهؤلاء أتباع محمد نبى الرحمة، نبى الأمن، نبى الاستقرار، الذى كان يعفو عمن ظلمه ويحسن إلى من أساء إليه؟.

ويعلم أتباعه: «ولمن صبر وغفر إن ذلك من عزم الأمور» ولكن، إننا ونحن ننادى على المتطرفين نقول لهم : اتقوا الله فى دين الإسلام لأنه جاء لإسعاد الناس لا يحب إراقة الدماء ولا ينشد إزهاق الأرواح. ولعلنا نذكر أن سيدنا رسول الله (ﷺ) كان دائما يحب التسامح ويرضى لأتباعه أن يتخذوا التسامح سلاحًا. لأن الإسلام لا يقر العنف وسيلة للتفاهم. والإرهاب كذلك لا يرضى به.

ونحن الآن على أمة الإسلام أن تذوب وتضيع جزاء فعل بعض أبنائها. ويقول الحق سبحانه:

«واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة».

ونحن لا نرجو مطلقًا عيشة نرى فيها صوت الإسلام يخفت ويضعف بينما صوت الباطل يعلو ويرتفع والساكت على ذلك شيطان أخرس ولعلنا الآن نعيش أصعب فترات حياتنا مصداقًا لما قاله رسول الله (ﷺ):

«يوشك أن تداعى عليكم الأمم من كل أفق كما تداعى الأكلة إلى قصعتها.

قيل يا رسول الله. فمن قلة يومئذ؟

قال لا. ولكنكم غثاء؛ غثاء السيل. يجعل الوهن فى قلوبكم. وينزع الرعب من قلوب عدوكم لحبكم الدنيا وكراهيتكم الموت» رواه أحمد وأبو داود عن ثوبان.

وإننا لندعوا الله مخلصين له الدين أن ينجينا من شر هذه الفتن التى بدأت تتلاحق فيصبح الإنسان مؤمنا ويمسى كافرًا ويمسى كافرًا ويصبح مؤمنًا لأن الشرور طغت والمحن أقبلت والفتن أطلت برءوسها والخوف سيطر على المجتمع الإسلامى الذى أصبح يلقب بلغة السياسيين بأنه المجتمع النامى وهو تعبير سهل والحقيقة أن مجتمع النائمين الذين يفرطون فى الحق لأنهم يعيشون فى لهو.

إن آفة المجتمع الإنسانى اليوم هى أنه عند اختطاف أية طائرة أو تفجير لغم أو اختطاف أية شخصية مرموقة نقرأ فى وسائل الإعلام ونسمع بأن منظمة ... الإسلامية هى التى فعلت ذلك..

وإن شخصًا ما قد اتصل بوكالة الأنباء .. وأخبرها أن وراء هذا الحدث منظمة.. الإسلامية أو أن وراء هذا العمل الإرهابى منظمة... الإسلامى .. والإسلام برىء من كل ذلك لأنه لم يأمر أتباعه أن يكونوا غادرين ولا سفاحين ولا سفاكين للدماء.ولا مروجين للإشاعات أبدا وإذا كانت تلك الشخصيات تعلن عن هويتها الحقيقية ومدى انتمائها إلى الإسلام لقلنا بأن الإسلام يحب سفك الدماء وترويج الإشاعات الكاذبة .. لكن .. الحقيقة المرة المؤلمة أن الذين يفعلون ذلك نيتهم سيئة وطويتهم خبيثة لأنهم يريدون أن يظهروا الإسلام بصورة مشوهة أمام العالم والحقيقة التى يعرفها الجميع أن الإسلام برىء من كل عمل فيه إزهاق للأرواح بلا سبب أو ترويع للآمنين بلا مبرر أو الضغط على الناس لابتزاز أموالهم تحت أية وسيلة.

الإسلام يرفض ذلك تمامًا ولا يرضى لأتباعه أن يكونوا قطاع طرق يعيشون على الإرهاب ويستعملون العنف ويركبون موجة التطرف وإنما الإسلام يقول لأتباعه ﴿فَمَنِ اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾[1]. بل إن دعوته صريحة بأن أى إنسان يجب أن يعرف أصول

(١) الآية ١٩٤ من سورة البقرة.

الدين وقواعده وفرائضه وما فيه من حلال وحرام فعلينا أن نعطيه الأمان وأن نكون له الأوفياء فلا نروعه أبدا.
يقول الحق سبحانه فى بيان ذلك:
﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ﴾(١).

ثم إنه لا يرضى أبدا بأن يتقاتل مسلم مع مسلم فيقول الرسول (ﷺ) فى بيان ذلك:

«انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً. قالوا يا رسول الله ننصره مظلوما فكيف ننصره ظالما؟ قال تأخذ على يديه فتمنعه عن ظلمه فذاك نصره».

إن الله لا يحب الظالمين أبدا ولا يرضى لمعتنقى دين الإسلام أن يكونوا ظالمين وإذا كانت الحرب الدائرة الآن بين العراق وإيران أو بين ليبيا وتشاد أو بين أية دولتين من المسلمين، الإسلام لايقرها ولا يرضى بها لأنها تضعف الكيان الإسلامى وتؤثر فى تقدم المسلمين وتهز شخصيتهم وتؤخرهم فلا يتقدمون والرابح هو عدو الإسلام لذلك فإن تلك المؤامرات تحاك فى المحافل الصهيونية وأماكن

(١) الآية ٦ من سورة التوبة.

تجـمـعـات أعـداء الإسـلام ثم يقف بالمخططات إلى تلك الدول الإسـلامـيـة فـتـضـرب بعضـهـا البعض بلا وعى ولا إدراك وتفـقـد صـوابها ورشـدها وتخـسـر كل مـقـومـات حضـارتهـا ووسـيلة تقدمهـا ويضـعف اقتصـادها ثم تعيش عـالة على الدول الغنيـة والإسلام لا يـرضى بذلك أبدا وهو ينادى على أتباعه ومعتنقيه. ﴿ وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ فَإِن فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾(١).

مـا من قـضـيـة لأية دولة إسـلامـيـة عـرضت على هـيـئـة الأمم المتحدة ومحافلها وأجنحتها إلا ويرمى بأوراقها فى ردهات تلك المحافل لأن من فقد كرامة نفسه لا كرامة له عند الغير. ومن هان على نفسه كان على غيره أهون.

لقد كان الأولى بالمسلمين أن يتخذوا من شهر رمضان وهو شهر الوحدة وجمع الصف وسيلة ليجتمعوا فى لياليه يتدارسون مشاكلهم ويعملون على توحيد صفهم فإذا جاء موسم الحج وهو المؤتمر العام للدول الإسلامية يعرضون فيه قضاياهم ويقرءون ما توصلوا إليه من توصيات

(١) الآية ٩ من سورة الحجرات.

تستهدف ربط الأمة الإسلامية وجمع شملها تحقيقا لقول الحق سبحانه:

﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ (١).

لكان ذلك أجدر وأحسن.

لكن الحسرة فى القلوب والدموع فى العيون على ما آل إليه حال المسلمين تحت تلك الوطأة التى يكتوى العالم بنارها اليوم.. فهل آن الأوان أن نرجع إلى الله وأن نتدارس أمر الإسلام الذى هو حجة على المسلمين وليس المسلمون بحج عليه أبدا لأن الحق سبحانه حدد هذا للعالم بوضوح فقال سبحانه:

﴿ فَمَنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ ﴾(٢).

ولقد قال الحق سبحانه لنبيه ومصطفاه أن يعلن على الإنسانية كلها أن الحق يعلو ولا يعلى عليه وأنه لا أحد فوق الحق. بل الحق فوق الجميع وعلى الرسول (ﷺ) أن يخبر الناس بهذه الحقيقة. فمن أخذ بها وسار على هديها فله

---

(١) من الآية ١٠ من سورة الحجرات.

(٢) الآية ١٠٨ من سورة يونس.

الحسنى وزيادة ومن تطرف فى فكره أو ركب موجة العنف وتسلح بسلاح الإرهاب فقد جنى على نفسه وجنى على أمته التى لم تأخذ على يديه وتمنعه ومع ذلك فهو لا يضر الحق ولا ينقص من قدره ولا يسىء إليه وإنما أساء إلى نفسه وأضر بسمعة أمته والحقيقة باقية كما هى فى نصاعتها ونظافتها وطهارتها وما أنت يارسول الله الا مبلغ ومبشر ومنذر. فيقول الحق سبحانه:

﴿ مَنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴾ (1).

ويقول سبحانه:

﴿ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴾ (2).

ويقول سبحانه:

﴿ فَمَنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُنذِرِينَ (92) وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَتَعْرِفُونَهَا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ (3)

---

(1) من الآية ١٥ من سورة الإسراء.

(2) الآية ٣٨ من سورة المدثر.

(3) الآية ٩٢، ٩٣ من سورة النمل.

﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ﴾ [٤] .. ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾ [٥]. فعلى المسلمين أن يتداركوا الأمر وأن يضربوا بيد قوية على كل متطرف عنيف وعلى كل عنيف يلبس مسوح الإرهابين ولا يأخذ المسلمين فى الحق لومة لائم وليس هناك تهاون أبدًا لأن الرجوع إلى الحق فضيلة والدعوة إلى الحق فضيلة والتمسك بالحق سعادة اجتماعية وسعادة نفسية واستقرار لكل مواطن وهدوء للإنسانية بأسرها.

ويوم أن يفهم الناس الإسلام على حقيقته لن تجد فى المجتمع تلك الأجساد العارية ولا البطون الجائعة ولا العيون الدامعة لأن الكل سيعيش فى سعادة وسلام ووئام.

وصدق الله العظيم حيث يصف التطرف والعنف والإرهاب بالموت أما الوسطية والسماحة والأمن بالنور الذى يهدى إلى سواء السبيل فيقول:

﴿أَوَ مَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[١].

---

(١) آية ١٤ من سورة الفجر. (٢) الآية ٢٢٧ من سورة الشعراء.
(٣) من الآية ١٢٢ من سورة الأنعام.

فعودة إلى الإسلام يا أتباع الإسلام وكونوا خير أمة أخرجت للناس كما أراد لكم الحق سبحانه الذى قال:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ (١٠) تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ (١١) يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (١٢) وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِّنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (١).

---

(١) من الآية ١٠- ١٣ من سورة الصف.

# المراجـع


١- القرآن الكريم.

٢- تفسير ابن كثير وغيره.

٣- السنة النبوية.

٤- سيرة الخلفاء الراشدين.

٥- بعض كتب القانون.

٦- الجرائد اليومية والمجلات الأسبوعية.

# فهرس

الهيئة المصرية العامة للكتاب
ص. ب : ٢٣٥ الرقم البريدى : ١١٧٩٤ رمسيس
WWW. maktabetelosra.. org
E - mail : info @egyptianbook.org